المجتمع

الدين والعنف

سرو قادر

المجتمع

الدين والعنف

ترجمه من الكوردية:

أمين بوتاني

دار اراس للطباعة والنشر

أربيل – اقليم كردستان العراق

3

جميع الحقوق محفوظة ©
دار اراس للطباعة والنشر
شارع گولان – اربيل
اقليم كردستان العراق
البريد الألكتروني aras@araspress.com
الموقع على الانترنيت www.araspublishers.com
تأسست دار اراس في (٢٨) تشرين (٢) ١٩٩٨

سرو قادر
المجتمع: الدين والعنف
ترجمه من الكوردية: أمين بوتاني
منشورات اراس رقم: ١٣٤٩
الطبعة الأولى ٢٠١٢
كمية الطبع: ٦٠٠
مطبعة اراس – أربيل
رقم الايداع في المديرية العامة للمكتبات العامة ٢٨٨٠ – ٢٠١٢
الاخراج الداخلي والغلاف: آراس أكرم
التصحيح: ماجدة محسين

ردمك:
ISBN: 978-9933-488-14-7

الجزء الأول

الدين.... كيف نفهمه؟

في هذا الجزء سأحاول وفقاً للمنظور العلمي و بالأستناد على افكار وأراء مشاهير علماء الاجتماع المعترف بهم، ان اعرف الدين تعريفاً علمياً وأظهر كنظام مهم و متجذر داخل المجتمع الكوردستاني والذي هو أحد المجتمعات الشرقية والأسلامية، ومن هذا المنطلق ايضاً سأرجع الى الماضي واغوص في تاريخ الانسانية متناولاً عملية ظهور الدين كظاهرة اجتما-ريخية. وغايتي في هذا المضمار ان تعريف: القناعات الدينية في زمننا هذا وليدة اي ظرف تأريخي آخر؟ كي اتمكن من خلالها ان اصف آلية تأثير الدين على التغيرات الاجتماعية ومن ثم الخوض في دور الدين من حيث تدشين او مناهضة المجتمع المدني.

الذي ذكرته انما هو عموميات يمكن ان نرى بها العالم الاسلامي برمته، لكن محاولتي هذه، هي البحث عن خصوصيات كورستان المتعلقة بهذا الأمر والعثور على تلك الخصوصيات داخل النظام الديني ان وجدت، كي اقف عندها وأرى فيما اذا كانت تناصر او تقف فأن الحضارة والتمدن وضعا كجوهر اساس للتغيرات الاجتماعية الحاصلة اليوم في المجتمع الكوردستاني.

من الضرورة بمكان القول، بأنني في هذا الكتاب انما اعددت مجدداً كتابة مضمون كتابي الذي سبق وان نشرته عام ٢٠٠٢ تحت عنوان

(العنف كظاهرة تأريخية وآجتماعية)، وهذه الأعادة ليست كالنص السابق بل اجريت عليه تغيراً كاملاً بشكل ينسجم ومضمون هذا الكتاب الذي بين يديك، لكنني فقط ابقيت علة الحوار الذي أجريته مع اكرام كريم عا ١٩٩٩ في تلفزيون الحركة الآسلامية ولم احدث فيه اي تغيير.

اولاً: ماهو الدين؟

المجتمع الانساني كظاهرة في الكون هو حقيقة ذات تأريخ خاص بها، وجميع ظواهر المجتمع لها مكانتها الخاصة بها داخل مراحل هذا التأريخ، لأنها موكولة بأداء ادوار ومهام موضوعة لها، والدين في مسار النضج الانساني خلال محطاته الأولى ظهر كأداة لفهم وتفسير الظواهر الطبيعية واعطاء الشرعية للمجتمعات البدائية انذاك.

وبصدد هذا الموضوع، يقول عالم الاجتماع الشهير "انطوني غيدنز"، (كي لانقع في شرك النظرة الثقافية الأحادية، من المستحسن ان نسأل مالذي لايعنيه الدين يا ترى؟) (جامعة شناس ص/٤٩٦).

هو يقول بأن الدين ليس الوحدانية فقط، لأن هناك اديانا لديها اكثر من اله، كذلك توجد أديان أخرى لا يملك اية مواعظ و أوامر اخلاقية حتى، كالذي كان ينادي به موسى، لان الألهة في الأديان القديمة لدى اليونان لم تكن تتدخل في امور البشر.

والدين لم يأت ليقول لنا كيف خلق الكون، لأن غالبية الأديان لا تتطرق الى هكذا مسائل، وأخيراً ان وظيفة الدين لا تعني قدومه على تقصي المعتقدات الميتافيزيقية وتكييفها مع الظواهر الطبيعية، لان بعض الاديان كمثل الكونفوشيوسية منهكمة دائماً بأيجاد الانسجام بين الطبيعة وظواهرها فما هو الدين ياترى؟ يجيب غيدنز بنفسه (كل الذي يخلق

الخوف والخشوع ولا علامة وطيدة بتلك العادات والتقاليد المتبعة من قبل اناس يؤمنون به) "المصدر نفسه"

من جانب آخر يقول وليام جيمس في كتابه (The varieties of religious experience) الذي افهمه من الدين في موضوعي هذا، انه عبارة عن مجموعة من المشاعر والخبرات التي تتولد لدى بعض الناس كنتيجة للعزلة، دافعة اياهم القيام بسلوكيات معينة، وهذه المشاعر والخبرات مرتبطة بعلامة يفتحها الشخص بينه وبين الذي يضعه في مقام الرب"، (دين الانسان _ فراس السواح ص٢٢).

اذاً يمكننا ان نفهم من كلام جيمس بأن الدين يقع داخل شبكة العلاقات في المجتمع.

وحول مفصل آخر هذا الموضوع، يقول هيبرت سبنسر المفكر الشهير وثاني رواد مسيرة علم الآجتماع "كل الأديان بغض النظر عن اختلافاتها متفقة على ان الكون سر بحاجة الى التفسير وإماطة اللثام عنه – المصدر السابق".

كل المفكرين خاضدوا غمار محتوى الدين بالتحليل والتفسير، ومنهم المفكر الالماني (ماكس مولر) الذي يقول: الدين محاولة من أجل تصور لايمكن تصوره، انه قول غير قابل للأجتزاء ونير يبقى دوماً للنهاية – المصدر نفسه".

على نفس المنوال، يقول رافائيل في كتابه المعنون مقدمة عن تأريخ الدين: الدين عبارة عن ارتباط حب الانسان بشعور على انه يربط عقل الانسان بعقل آخر يحكم الكون، وهذا ما يمده بنوع من الرضى _ المصدر السالف ص ٢٤".

وبذات الشكل من التفكير القريب من التأمل، يكتب الباحث الديني (ف. شلير ماخر): الدين فظور بنوع اللانهاية وتجريب تلك اللانهاية، ومقصدي من تلك اللانهاية هو توحد وتكامل عالمننا المحسوس، انه خيال الفرد الذي يدفع بأيمان الله صوب غايتين اولها الأختلاف والتوحد، والثانية انما تدحرجه باتجاه نوع من التعبد اللامرئي والذي يؤسمى بوحدة الوجود _ المصدر السابق".

وحول الموضوع ذاته، يؤكد المفكر الانثروبولوجي الكبير ادوارد تايلور (١٩١٧-١٨٣٢) في كتابه (Primitive culture): هدفنا الأول من وراء بحثنا المنهجي ازاء اديان المجتمعات البدائية هو كي يكون بمقدورنا ان نضع تعريفاً اولياً للدين.

ثم الآصرار على الأيمان بوجود علي"متسام والذي مدعاته اخراج الأديان البدائية من دائرة الدين، لأن هذا الضرب من الايمان هو مرحلة متقدمة للحياة الدينية، لذا فمن الاجدر ان نضع حدوداً اولية لتعريف الدين، الا وهي الوقوف عند حدود الاعتقاد بمخلوق روحي _ المصدر ذاته".

بناءاً على ذلك، يبدأ المنظور الاجتماعي للدين من تايلور، ويعزى اليه مهمة تنظيم وتبرير تقاليد وأعراف اي مجتمع.

ومفكر آخر بريطاني وهو جيمس فريزر (١٨٥٤ - ١٩٤١) يقترب اكثر من الحياة الاجتماعية حينما يأتي على تعريف الدين قائلا: من غير الممكن اطلاقاً وضع تعريف للدين بالشكل الذي يرضى جميع الاطراف المتضادة، لذا فأن الباحث بأستطاعته فقط ان يعبر عما لديه حول الدين ليس الا، وبعد ذلك ان يستعمل ذلك التعريف كأية كلمة في نتاجاته عند الكتابة،

ومن هذا نفهم بأن الدين سلوك ينم عن مناجاة وتضرع يلتمسه من قوة تعلوه، متصورا بأن الطبيعة والانسان يقعان تحت أمرتها، وهذا السلوك يتكون من عنصرين، اوله نظري، واما الثاني لهو تطبيقة بالفعل ـــ المصدر نفسه ص٢٥"

ثانياً: ماهي وظائف الدين الاجتماعية؟

المفكر الفرنسي الكبير أميل دوركهايم وضع في احدى روائعه الكبيرة قاعدة علمية حول الواقع الاجتماعي لتفسير دور الدين وعرفه كنظام من الانظمة المكونة للبنيان الاجتماعي حيث يقول: الدين نظام متناغم متكون من ايمان و افعال يتنادل مواضع مقدسة ويبعدها عن السياق الدنيوي ومضفيا عليها شتى صنوف التحريم، وهذه الاعتقادات والافعال تجمع المؤمنين والقائمين على أمور الدين كلهم في جمعية معنوية تحمل اسم الكنيسة _ المصدر السابق ص ٢٧".

دور كهاي احدث تغيراً جذرياً في الابحاث المتعلقة بالدين هو كذلك يركز في نظريته معتقداً بأنه ليس من الاهمية ان يتمعن مفكر في مسألة الدين، لكن الاهم وجوهر المسالة يكمن في عثوره على دور للدين، دوركهايم اوضح بأن الدين نظام من الانظمة المؤثرة في البنيان الاجتماعي ويشترك كغيره في وظيفة تنظيم الحياة الاجتماعية، ونظرية دوركهايم هذه ليست انتقاصاً من القيمة الفكرية لهولاء الفلاسفة الذين كانت لهم نظرة غير لاهوتية ازاء ظهور الدين، ومن هناك اجبرت هذه النظرية علماء الاجتماع معه بشكل واقعي عند التحولات.

وماكس فيبر ايضاً في احدى طروحاته الثلاثة في (الاقتصاد والمجتمع) يتطرف الى دور المقدس الذي يحوي الدين والعرف والعادات والتقاليد

العتيدة، والتي بمجملها تغدو مصدر السلطة ولا سيما التقليدي منه _ مفكروا علم الاجتماع الكبار _ راب استونز، ناهيك عن الدراسة المستفيضة حول دور الدين في مجال تقدم الرأسمالية، حيث يفسر هناك (البروتستانتية وروح الرأسمالية) الدين كنظام اجتماعي ومعرفي فاعل.

بعد التطرق الى منظور مشاهير المفكرين و علماء الاجتماع، أنا ايضاً في هذا الكتيب أوكد بأن الدين ظاهرة اجتما _ ريخية عقيدة تحتل مساحة رحبة في المعرفة الاجتماعية، وهو قاعدة لمعرفة الفرد في تلك المجتمعات لتي ينظر فيها الى الدين كمصدر فلسفي للوجود، وهذا النوع من المجتمع انما بشكل الغالبية في العام. الدين بأطر بدائية بدائية جدا و بجذور معظم عناصره يملك تأريخا طويلا في مسيرة الرقي الانساني، وهو تعبير عن مستوى قدرة المجتمع على تفسير ظواهر الكون، و على مايبدو بأنه في الحقب التي شهدت ظهور الاديان الرئيسة في العالم، لعبثت الاديان تلك دور القابلة بخصوص مراحل النمو الانساني، لهذا فأن جميع الاستكشافات العلمية والتكنولوجية الى يومنا هذا ومع حقائقها الثابتة لم تتسن لها تماماً ان تزاحم الدين وتحركه عن مواضعه.

فقوة الدين تكمن في قدسية قواعده العصية عن التعديل، لهذا نرى بأنه حتى في مرحلة المجتمع المدني يبدي مقاومته ويضمن لنفسه الديمومة كنظام، بغض النظرعن حدوث التضاؤل في مهامة، لكن عندما يأتي الحديث عن الوظائف الاجتماعية للدين، حينذاك يجب ان نكون اكثر دقة وترويا، لان الدين كنظام فاعل ونشيط داخل البناء الاجتماعي، ينقل من درجة المعرفة الدينية الى داخل المؤسسات الاجتماعية التي سلوكيات قطيعية تنفد في مكانها الخاص. كالمسجد والاعياد والمراسيم الدينية، وضع وتقييد الاخلاق والسلوكيات الفردية والواجبات الاجتماعيية،

ومقصدنا من هذه المؤسسات هو دور العبادة والاماكن الدينية الاخرى ايضا، في المجتمعات الاسلامية هي المساجد والتكايا والخانقاه وأمكنة اخرى مرتبطة بها، يقول دوركهايم بأن المجتمع من خلال هذه القنوات تبسط أوامره ويبقى على السظور عند تأثيره عن طريق المفاهم المقدسة، ويروض الفرد على النحو الذي يخضع تلقائياً لطقوس وتعاليم الدين.

ومن هذا المنظار نرى الدين يقارع كل نظام جديد ولا تتقبل المعتقدات والسلوكيات الجديدة بيسر (التى يسميها بالبدعة) لأنه في ظل التحديث يتضائل دور التقليد والتقديس وتتراجع سلطة الدين كذلك لذا فأن الدين في مرحلة المجتمع المدني يلعب دوراً كهذا ولايبدي مرونة امام القوانين الوضعية.

ثالثاً: الدين كمصدر للقوانين.

للقانون تأريخ طويل في الحياة السياسية والادارية للدول الاوروبية و من بعدها آمريكا، منذ اليونان القديم الى عصر الامبراطوريات الرومانية، ومن ثم فترات حكم الكنيسة في أوروبا، مرت هذه المسيرة بمراحل مختلفة، ففي عصر النهضة (الرنسانس) تطور المنظور الدينوي (العلماني _ سكولارزم) وبحسب واقع الحياة اخضعت العلاقاعت الاجتماعية للتفسير والتحليل، وبدات القوانين الوضعية تأخذ مكان القوانين والشرائع الدينية واللاهوتية، ففي السابق عندما كانت شرائع اللاهوت تنظم العلاقات الاجتماعي و تضع الحقوق وفقاً لمنظورها، لكن عصر النهضة حينما ظهر، ازاح اللاهوت واضعا مصير الانسان والمجتمع في يده، وجعل من واقع العلاقات قاعدة لسن القوانين.

اما في الشرق الاسلامي فأن العملية تلك قد سارت في عكس الأتجاه،

حيث بقيت المصادر الشرعية كمرجع اوحد لادارة المجتمع والحكم، ونادرا ما كان يفتح المجال لتداول فكرة القانون الوضعي، في ناهية القرن التاسع عشر ونتيجة لتطور الاستعمار وقدوم افكار ونزعات و سلطات جديدة، والتي كانت جذورها من مصادر اوروبية، بدات شخصيات و مراكز اصلاحية بالظهور ولعبت دورا مهماً في تحولات الشرق السياسة والأدارية، هولاء هم الذين ادخلوا فكرة الدستور وسن القوانين الى الامبراطوريات الاسلامية لعثمانية وا لقا جارية، لكنهم لم يتمكنو من انهاء دور الدين في مجال وضع القوانين. وهنا نأتي الى ذكر شهود معاصرين، د-محسن عبدالحميد والذي كان رئيسا للحزب الاسلامي العراقي في الاونة الاخيرة، انه كوردي القومية، لكنه ايديولوجيا بمثابة الناطق بأسم اسلاميي كوردستان، يقول في (تجديد الفكر الاسلامي ص ١٦٩).

:"الاسلام دولة و وطن أو سلطة وأمة، انه اخلاق وقوة، أو رحمة وعدالة، ثقافة و قانون، انه علم و عدل، مادة و ثروة، او هو كسابة و ثراء، نضال وجهاد دعوة، أو جيش و ايمان، كذلك هو عقيدة صائبة و عبادة صحيحة".

وبناءاً على تعريف د.محسن عبدالحميد، لايبقى اي مجال امام الافكار المعاصرة بخصوص وضع القوانين وتنظيم العلاقات الاجتماعية واية دولة اسلامية عدا تركيا، لم تخطو بالضد من هذه الفكرة و دائما اتخذت من الشريعة الاسلامية مصدراً للقوانين، وكلامي هذا ليس بذلك المحنى بأنه لم تكن هنالك اية محاولة تخص القوانين المدنية، الا ان روح القوانين لم تكن عن التفسير اللاهوتي، لهذا نرى بأن المؤسسات المدنية لم تحظ بأية تطور، الكاتب في مجال آخر يقول:"ان الدين الاسلامي المبارك ليس من افكار وفلسفة الانسان، وكل هذه المفاهيم (الافكار والفلسفة) تعي ارث و نتاج الفكر الانساني و وعيه على مر مراحل التاريخ الانساني المختلفة،

سواء أظهرت في مجتمع اسلامي او مجتمع آخر ضمن التاريخ الانسان، فقط هناك شيء، وهو ان الاستنتاجات والمنجزات الفكرية النابعة من عقل و وعي اسلامي آخذ بنظر الاعتبار تعاليم وقواعد الاسلام، يحتمل فيها حدوث اخطاء اقل من الاراء والافكار النابعة من عقل و وعي غير اسلامي بعيد عن قواعده وأسسه" (المصدر السابق ص٣).

وحول كيفية ذلك الانسان المثالي الذي يجب عليه ان يحمل فكراً اسلاميا في مجتمع مثالي، يمكننا ان نستشهد بمنظور علي بابير امير الجماعة الاسلامية في كوردستان حيث يقول: ١- التوبة والتطهر. وفقاً لكلامه يجب على الانسان ان يجتنب جميع الافعال والمظاهر الحرة للمجتمع المدني ويطبق الأوامر الشرعية جملة وتفصيلا. ٢-المعلومات والتنور. وهذا يأتي بمعنى دراية و الاخذ بجميع الاوامر الشرعية التي وردت في المرحلة الاولى. ٣- الاخلاص والتوحد. وهنا الشيء الوحيد الذي يؤخذ بالحساب هو مرضاة الله ولايبقى شيء بأسم ارادة ورغبة وحرية الانسان. ٤- الأحتماء والتأمل، وهنا وضعت مجموعة من التدابير التي تبعد الانسان عن هذه الدنيا وتعزله. ٥- الاحسان والتسامي ٦- الاستمرارية و المثابرة (علي بابير- طريق الصلاح والتوجه الى الله ص١٦-٣٩)

وبرأيي وكما اشار اليه الكثير من المنظرين والباحثين، ان من احدى الاسس الرئيسية لتطور المجتمع المدني هي ابعاد الدين عن الحياة السياسية والادارية للمجتمع والدفع به الى مجالات العبادة الفردية وتبنية كقناعة فلسفية وعقائدية ليس الا وعكس ذلك متى ما أصبحت الشريعة مصدرا للقانون والعقائد الاجتماعية، لاشك انها تغدو عقبة و لاتنسجم مع الحريات الفردية واندفاعة الاقتصاد الحر، حيث تعد الاخريتين (حرية

الفرد وحرية الاقتصاد) من مبادىء المجتمع المدني الرئيسية.

وتجربة كوردستان في هذا الشأن عبارة عن القضية والتسليم، بمعنى ان غالبية القوانين واقعة تحت تأثير الدين، ومن جانب آخر هنالك بعض من القوانين مصدرها العلمانية ممثل قانون الارهاب و قانون الدفاع عن حقوق المرأة.

وأرى من الضرورة عدم نسيان شيء، وهو ان مفهوم القانون والايمان الذي يدعمه هو غريب عن ثقافة الشرق الاسلامي، كما يلاحظ في تلك المجتمعات التي يتم الحديث عن حقوق الانسان المبنية على القوانين المعاصرة، اي القوانين التي هي نتاج فكر وعقل الانسان وان لم توافق الأوامر الشرعية، وهنا فأن الوضعية والشريعة (العلمانية والدين) تتواجهان، لانه على مر تأريخ يربو على الالف وأربعمئة مسائة سنة، اي انتاج فكري للانسان في العالم الاسلامي وصف بالبدعة وحوكم بتكفيره، ولهذا لايوجد في ثقافة الشرق مكان لشيء اسمه مفهوم القانون، وتأريخ امبراطورية الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والفاطميين والفويين واقاجاريين تشهد بأن الدول قد اديرت دون قانون، وكان تفسير النهوض الشرعية فقط هو الضمان للقيام بأعباء الضبط الاجتماعي وكان بديلعن دساتير وقوانين الدول تلك، وهذه الثقافة هي التي ادت بأن يكون مفهوم التكفير تفكيراً يسيراً لدى الفرق السياسية المختلفة اللأسلاميين للتصدي و مناهضة فكر الانسان وابداعاته.

ان اساس مجابهة الفكر القانوني مصدره تلك القناعة الدينية التي اشرت اليها- فهذه الثقافة تروض افرادها على نحو يرون اوامر وارشادات الشرع كافية لادارة المجالات المختلفة للمجتمع المعاصر، ولهذا اقول حينما يستخدم الدين هذه الأيام للتنظيم السياسي، فانه يأخذ شكل

الايديولوجيا و يبتعد عن ماضي، وهذه الايديولوجية التي قدست بمفهوم الدين، لهي سلاح المجابهة القاسية بيد تلك الشريحة الواسعة للمجتمع التقليدي والتي ليس بمقدورها تقبل التغيرات، وهنا تحيل هذه الشريحة الدين مصدراً لمبادئه الرجعية. اضف الى ذلك.ان نسبة الامية المرتفعة و نظام التربية الاجتماعية المحافظ لدول الشرق الاسلامي قد اتاحا ارضية مناسبة لبقاء النظرة التقلية الى الحياة.

الدين، بمنظور انساني

الاسلام السياسي، تلك المعضلة السياسية والاجتماعية والدينية التي ظهرت كبداية في بلدنا منذ ما يقرب العشرين سنة، هي معضلة سياسية كبيرة لفترة قربت الخمس عشر عاماً، لعشرة اعوام وهي معضلة عسكرية كبيرة، بلغت سنين خمس منذ ان اصبحت معضلة أمنية كبيرة.

لهذا فهو موضوع على قدر كبير من الأهمية.

كي نبحث جذور هذه المشكلة فأنني قسمتها الى خمسة اجزاء، بداية يجب ان نقف عند سؤال: ماذا يعني الدين؟ عدا ذلك الفهم الاجتماعي الذي استمديناه من البيت والمحلة والمدرسة أو بشكل عام من التربية الدينية، فهذا شي آخر.

كذلك كي نكون على بينة حول ماهية الحركات الدينية، والحركات الاسلامية اية منها، يجب علينا معرفة شيء، وهو في آي منظور نرى الدين بذاته.

وفي موضوعي الثاني سأحاول التطرق الى تأريخ ظهور الدول الدينية، اما في الموضوع الثالث سنرجع الى تجربة الدولة الدينية التي كانت تدار

بالشريعة كذلك مسألة كيفية اضمحلالها ومن ثم ظهور الفكر الاصلاحي، ايضاً سأتناول ما آلت اليه الدولة الدينية في الاسلام والاديان الاخرى وكيف اضحت عاملاً ممهداً لظهور الفكر والحركة الاصلاحيين.

ماالذي يعنيه المفهوم الاصلاحي في الدولة الدينية وماهي المجالات التي يشملها؟ وكمثال انه شمل مجالات النظام الديني والاجتماعي وشكل ادارة الدولة.

اما في الجزء الرابع سأذكر النظام الذي حل محل الدولة الدينية بعد زوالها كنتيجة للعملية الاصلاحية وهو النظام الدينوي (العلمانية) والذي هو في الحقيقة يمثل بداية النظام الديمقراطي المعروف بالدولة العلمانية، وفي الجزء الاخر نأتي الى موضوع اسباب ظهور الحركات الدينية، وهي كما تبدو جاءت لاحياء الدولة الدينية، آنذاك سوف نفهم ماهي الجوانب الحسنة لديها وكذلك السئة ايضاً، حينذاك بأستطاعتنا التفكير في كيفية التصدي لها ومجابهتها داخل المجتمع، وايضاً في كيفية عدم لجوئنا الى وسائل العنف والقمع في مناهضتنا لها، كذلك ان ندخل مجابهة الفكر المتشدد داخل ملنا التنويري من اجل الديموقراطية.

والان ابدا بالولوج داخل موضوعي الاول، بدءاً ارى من الضروري حينما نبحث موضوع معرفة الدين، ان نجنب انفسنا المنظور الالحادي ونلتمس مسلك التحقيق العلمي، مع ان المنظور الالحادي هو ايضاً محاولة للبحث عن دور الدين، لكنه منظور ليس بكامل، لكونه يشطب ويلغي واقعاً موجود=اً، لذا فليس بمقدوره ان يغدو البديل الوحيد والمنظور الناجح لادراك المفهوم الديني، لهذا فان الاسلوب القويم و الحسن هو المظور الواقعي والعلمي، ومن اجل ذلك يجب علينا تعريف الانسانية ونتمعن في المراحل التي قطعتها، وهنا من الضروري ان نعود الى التاريخ حيث هناك

مرحلة وثيقة الصلة بتخمين وظهور المعرفة،في تلك المرحلة وفي فترة امتدت لعشرة الاف سنة ظهر المنظور الديني، في تلك الفترة ظهرت الاديان وجابهت بعضا بعضاً من ادناه بساطة الى امضاه تكاملاً، ومجتمعة خاضت عملية اغناء ثرة، ومن ثم احتربت فيما بينهما شراسة على اشدها.

من المعلوم أن تاريخ الانسانية ليس بذلك القدر من القدم، ومن احدى روائع البشر هي تلك الالتفاتة الى ذاته أي بعرف نفسه، حيث بعد ذاك يستطيع ان يتعرف على عالمه الماحول ويفقه كنه الظواهر التي لم يكن يفهمها منذ القدم ويجيب عليها ايضاً وهذا الحالة كانت بالنسبة اليه السبب المانع للحيلولة دون تصديه للنواقص والتهديدات الاجتماعية ومخاطر الطبيعة كي يعيش في أمن واستقرار.

لو اعتمدنا اي منظور لتقصي بدايات التاريخ الانساني، سوف نحصل على اجوبة قريبة من بعضها، والتي في كل الاحوال لا تتعدى خمساً وعشرين الف سنة، وهذا الزمن الانسان ذلك العصر لهو زمن قصير، حتى لو كانت هنالك بقايا اكثر قدماً، فأنها تخلو من لمسه الانسان، لذا فمن غير المجدي ان تحاول البحث في سياق علم الانسان، وأنني بخصوص الزمن وتعداد السنوات لم ابد الدقة الكافية حيث انها من عمل المؤرخيين حين يضعون بدقة بدايات التأريخ الانساني ويشخصونها.

اريد جلب انتباهكم الى شيء وهو ان ثقافة المجتمع الكوردستاني يطغي عليها الطابع الديني، لهذا فأن غالبية تساؤلات الفرد تعد ممنوعة وخطيئة، لانها موضوعة في دائرة الكفر، الشيء الذي كان سائدا لدى المراكز الدينية هو القول بأن هنالك اسئلة لا يمكن التقرب منهما لكونها ممنوعة، و وفقاً لهذا النظام المعرفي تبقى هنالك حقائق لايجوز للبشر

معرفتها، لماذا؟ لانها تثير الشكوك لدى الفرد، اي شك؟ شك السؤال، مالذي يفعله السؤال بالفرد؟ يجعل منه ان يبحث عن السؤال، واذا شرع بالبحث عن الجواب سوف يخرج عن بعض الاوامر الثابتة، ولهذا جهد فقهاء الشريعة على أبعاد الفرد عن هذه الجادة، معتقدين بأن هذه التفاصيل انما تقربه من الشيطان و عاقبته الوصول الى الفكر الشيطاني، هذا المنهج المعرفي الديني على خطأ، لان السؤال يوصل البشر الى الجواب ومن ثم يتمرد على النظام والواقع اللذين كبلاه، وهذا ما سيوصله الى الاصلاح وليس الفكر الشيطاني، انه يعلمه النقاش وليس الاستسلام الأعمى، ومن خلال هذا يدلو البشر بخطوة داخل مرحلة جديدة.

في المنظور الديني، بدايات محاولات الانسان ترجع الى زمن حينما بدأ يهم بالخروج من الكهوف ويبني القرى، حينها كان يروض بعض الحيوانات ويسخرها لمورد حياته، حتى الحشائش والنباتات التي ظهرت له عن طريق التجربة بانها تؤكل، عاينها وحاول زراعتها وتكثير ثمراتها، وهنا فأن بدايات أستقرار وأستيطان الانسان وشعوره بالامان قد بدات بالانبلاج، في حين قبل تلك المرحلة كأي حيوان آخر كان في مهب تهديدات الفناء والانقراض، ويتملكه القلق والمخاوف العمياء، كان مهدداً بالفناء جراء مخاطر الحيوانات المفترسة و الاجناس الاخرى من نظرائه التي كانت للتو تخطو من العائلة صوب الافخاذ في ذلك الزمان لم يكن الانسان يملك اية خزينة وتجربة علمية ومعرفية، والمفاهيم الغنية التي ثبتتها اليوم معرفة الانسان، لم تكن موجودة عصر ذاك، ولهذا ترى بأن ثمة فروقات قليلة كانت تفصل الانسان عن الحيوان، فهذه كلها ادرجت و وضعت في تأريخ علم الانسان ولم تبق للشك و الجدل اي مجال، والذي يريد ان يسأل و يكون على بينه من هذا، عليه ان يذهب ويقرأ.

لماذا شغلت مسألة الامان البشر لهذه الدرجة وأربكته؟ جواب يسير، لانه لم يكن قادرا على حماية نفسه بسهولة فهو من ذلك النوع من الحيوانات التي تجد صعوبة بالغة للدفاع عن نفسها، على سبيل المثال لم يكن باستطاعته الانقضاض بسهولة على اعدائه من الحيوانات ويأكلها كما يفعل الاسد والنمر والذئب والكلب، وهذا راجع الى المهارات الطبيعية التي هو لايملكها، فعيناه ليستا على قدر من دقة الرؤية، حاسة الشم لديه محدودة المدى، جريه ليس قوياً و سريعاً وقفزاته قصيرة، حينما يسقط من علو يتهشم: هو لا يملك المهارة الطبيعية التي لدى القطط والنمور.

كل هذه الاسباب دفعت بالانسان كي يخطو بأتجاه يكسبه الاحتماء، كان ذك السبيل الوحيد وهو معرفة محيطة فلا ذكر مثالا على ذلك، المأكل كان من مشاكلة الرئيسية، والذي وصل الينا من ذهنية وفوى الاساطير يسرد قصصا مخيفة عن مجاعات مخيفة، واصفاً الظروف التي انجبت ابطالا منقذين، فلماذا لايظهر في ايامنا هذه الابطال والاساطير؟ لان الاسطورة هي ظاهرة معرفية لايام كان الانسان فيها ضعيفا ولم يكن بمقدوره التغلب علة الظواهر المحيطة به، لذا كان لزاما عليه ان يعتمد على رجل ضخم وقدير يستطيع حماية عوائل عدة بقوة الاذرع، حيث كانت افعال و سلوك واخلاق هؤلاء الاشخاص تغدو محل احاديث الناس و وصفهم وبالنتيجة تولد اسطورة، والاساطير كانت من سبك اناس يحيون في ظل الابطال.

يمكنكم ملاحظة الانسان وترونة كم هو ضعيف قاصر لا يستطيع ان يقضم الحشائش يفكه كالعنزة حتى، لكن الثور يستطيع فعل ذلك بأيما سهولة، الحيوانات الاخرى كانت تستطيع نزع قشور الاشجار وتكسير الفروع و غصونها ومن ثم اكلها، لكن الانسان لم يكن امامه سوى

استخدام يديه ليضع الاكل في فمه، لهذا نرى بأن طبيعة حياة الادمي جد صعبة مقارنة بالحيوانات الاخرى.

ان بدايات الفكر الديني بدات في حين ظهر في المجتمعات الصغيرة اشخاص نابهون ذو خبرة يسمون بالكاهن او الشامان (وجهاء وعلماء ذو قول مسموع)، علماء قرون التاسع عشر والعشرين اجروا بحوثاً على القبائل البدائية في استراليا وامريكا اللاتينية وافريقيا واثبتوا هذه الحقائق الا ان الشرق الاوسط الذي هو منطقتنا تقدم سريعاً وقطع تلك المرحلة، والرجال البارعون الذين كانوا يظهرون انذاك اعتماداً على التجارب السابقة ونباهتهم كانوا يفسرون الظواهر التي تهدد البشر في الطبيعة والمجتمع، كانوا يقدمون على هذا العمل دون سابق معرفة وبعدها كانت استنتاجاتهم ونصائحهم تنتقل جيلاً بعد جيل، ولهذا فأن عمل هؤلاء الكهنة يرى كبداية ظهور عمل المواساة والسحر وشحذ الهمم، فالاحداث التي كانت تطول حياة قبيلة أو شخص، هم كانوا يأتون ويفسرون لها معنى كي يقتن هذا الشخص ويغمره شعور بالأرتياح، ثم بعد ذلك كانوا يبدأون بالتنبؤ و قراءة الفأل، لماذا حدث كل هذا؟ لاشك أنه كان من اجل الاستدامة في الحياة، السحر ليس من حوائج ذلك الزمان او ضرورات هذه الايام انما السحر قواعده بنيت على الخرافة ومبادىء لا تمت الى العلم بصلة، والذي كان يحدث ويلعب دوراً في حياة الانسان، عجزت التجربة عن اثباته.

ان تكدس التجارب الشخصية والقبيلة بالاضافة الى ضعف منظور السحرة واساليبهم، هيأ الارضية امام تعاظم وتأثير الاساطير التي كانت تسرد قصصاً عن مآثر العظام من الرجل و والقبائل عند الشدائد والانتصارات التي كانوا يأملون تحقيقها بترقب.

وبعضاً من تلك الاساطير كانت تنظم اعتقادات و مخلوقات لم يكن لها وجود وتدخلها في عقول البشر، كمثل الغول والجان اللذين لم يكن لهما وجود، وهما كانا نتاج هذه العملية، وأذا نصغي الى ملاحمنا الاسطورية أو نقرأها ان كانت مكتوبة، نرى فيها بأن مشكلة الانسان على الدوام كانت مع هذه الوحوش التي كانت لديها قوة هائلة وتحول الانسان عن طريق الطلاسم الى احجار وحيوانات، ومن ثم يأتي بطل ويكسر هذه الطلاسم و التعاويذ، لماذا ياترى؟ لأنه في النهاية يجب ان ينتصر الانسان. فهذه المرحلة استغرقت الاف السنين، وهذه ايضاً بحثت من قبل علماء الاثار والانثر وبولوجيين وتم اثباتها بالدلائل والقرائن. في هذه المرحلة اختلطت المفاعهيم والمعتقدات السحرية والاسطورية بنضج وارتقاء البشر، حصل هذا عندما طرأت تغيرات كثيرة على جسد الانسان، لأن الادمي شئنا ام ابينا فصيلة من فصائل القردة، مثلما الاسد والنمر والفهد والقط فرع لفصيلة واحدة، لكن القط صغير بينما الاسد كبير.

وكذلك الكلب والذئب والثعلب وأبن آوى افرع لفصيلة اخرى.

والتغيرات التي طرات على جسد الانسان كانت عبارة عن الخبرات واستقامة الاطراف والظهر وتكور الرأس، ومعها فاللغة ايضا كانت تنضج اكثر فأكثر وتترسخ لديه المفاهيم التي كانت تعين اللغة كي تغدو اكثر غنى.

اذاً فعملية نضج الفكر واللغة مع ارتقاء وتحول جسد الأنسان ومن ثم عملية التنظيم من قبل الانسان نفسه كانت بغية ضمان الامن والبقاء وتوفير متطلبات البقاء، وكل هذا كان يحصل بتناغم.

ولهذا فأن المرحلة الاولى من ابتدا ع اللغة وظهور المفاهيم المفسرة للعالم

الذي كان يخشاه الادمي دوماً قد بدات انذاك، مع ان السحر والخرافة لايشكلان مصدراً متحداً لتفسير كنه العالم الذي كان الانسان ينوي معرفته، لذا فالفكر السحري والثقافة الخرافية لم يتمكنا من لملمة المجتمع البشري. وبدلاً عنها حماه على شكل جماعات صغيرة و مبعثرة مبتدعان له الايمان والمعتقدات مع اعطاء ضمانة الدوام وتفسير الظواهر. فظواهر المطر والفيضان والزلازل والجفاف و البراكين والامراض القاتلة السارية كانت يجب ان تفسر وعلاجها كان ايضا ملحاً، وأي علاج انما كان بحاجة الى علم و دراية، وهم كانوا مصدر هذه العلوم.

هذه المعتقدات الخرافية في بداية ظهور المعارف ترسخت بعمق في وعي الانسان والى يومنا هذا تشارك المكونات المعرفية للانسان، ولهذا نرى اناساً كثيرين اليوم مع انهم متعلمون، لكنهم لازالوا يؤمنون بالجن والاشباح والخرافات الاخرى، فهولاء هم غير مستقرين في الايمان والسلوك. لماذا؟ لآن المجتمع الانساني تنامى جيلاً بعد جيل والمعارف كذلك تناقلتها الشفاه والصدور، جميعنا نولد دون وعي وآرادة، يعلموننا في النظم التربوية ونعتاد، والتعود من احد استعدادات الانسان للديمومة و من ثم يكتسب قدرة الدفاع والاستمرار من حالة الاعتياد هذا.

الدين مرحلة اخرى لتقدم البشر التي عقبت السحر والاساطير، وابتداء الدين انما ظهر بمشكلة عنيفة ضد السحر والخرافة، وفي فترة بين ستة الى ثمانية الاف عام قبيل مجيء الاسلام ظهرت اليهودية، تتحدث التورات في صفحتها الاولى عن اشكالية وتصدي انبياء بني اسرائيل لمعتقدات السحر والخرافة، لان ذلك النظام الاعتقادي لم يكن بمقدوره الاتيان بالوئام والوفاق للمجتمع البشري كي لا يقتلوا بعضهم بعضاً ويقفون على ارجلهم، ومثالاً على ذلك، عندما يريد النبي ابراهيم ان يقدم ابنه (اسحق)

اسماعيل قربانا لله تسري قشعريرة في جسدنا، ذكر في التورات بأن اسحق ليس بأسماعيل. لكنه جاء في القرآن على انه اسماعيل ان الحادثة بذاتها هي الاهم لدينا ونترك هذه الاختلافات جانباً، فقبل الموقف الذي بدر من ابراهيم كان الكهنة والسحرة على اعتقاد بأن ليس هناك الهاً واحداً بل توجد الهة كثيرة، يعتقدون بأن لكل مصيبة الهة، ساد اعتقاد في كل اصقاع البسيطة بأن اله المصائب يطلب الدم، لذا يجب ان يقدم اليه اغلى قيمة يمتلكها الانسان وهو دمه، وتبعاً للمعتقدات على اختلافها في ارجاء معمورة الادمي، كان الولد البكر او الاجمل من بين الشباب يقدم كقرابين، واخيرا رسى لديهم الامر بتقديم النساء كأضحية، ففي بعض الاماكن كانوا يشربون دمها او يأكلون قطعة من جسدها، وفي مصر كانوا يقدمون النساء قرباناً ويرمون بها في نهر النيل، ومشكلة بني اسرائيل فيما بينهم كانت مع نتائج السحر والشعوذة التي دامت الى ان جاء موسى وسادها السكون بفعل قواعد المعتقدات للدين اليهودي، ومن بعده جاء انبياء ومرشدون اضافوا الى الدين تفاصيل اخرى، وهذا الدين انقذ ولأول مرة مفهوم الله من التشتت والمهام المختلفة كأله المطر او الزلزال وصرع بأن الاله واحد يمكث في السماء من دون ان يذكر له بأوصاف معينة، لكنه عرفه كخالق وبالأقوى، ففي المنظور اليهودي الله لا يرى ولكن صوته يسمع من قبل الانبياء، فهو للانسان المرتد والضال الجهول صارم ذو انتقام، انتقامه يكون في هذه الدنيا ويصيبه بلاءاً عظيما، وفي نهاية الكارثة وقبل فناء البشرية، يبعث الله لهم مصلحاً كي ينذرهم ليعودوا الى اوامره، لذا ففي كل الاديان وعند التحولات تضاف الى الدين اوامر وعظات جديدة.

كانت هذه خطوة مهمة نحو الامام، حيث ان اليهودية خلصت البشر من

التشرذم وأجمعته على اوامر جديدة تخدم بقاء وتقدم المجتمع البشري انذاك، ومعه كانت خزينة مدارك ومعارف المجتمع ايضاً تاخذ سعة وثراء، ناهيك عن ظهور توجهات ورؤى فلسفية، وبترز اسئلة تقول ماهو الكون ياترى؟ وكان الدين اليهودي يجيب عليها بأن الله القدير هو الذي خلق الكون.

وحينما كانوا يسألون لماذا؟ كان الجواب بأنه رغب ذلك، ومن هنا ارجعوا قصة نشوء الانسان الى الخطيئة الاولى التي واجهت ادم وحواء ومن جرائها اخرجا من الجنة وسقطا على الارض، فهذه القصة انتقلت الى الدين المسيحي والاسلامي ايضاً، ومعتنقي هذه الاديان يكنون الاحترام لهذا الاعتقاد، ولهذا يبدأ اول دين توحيدي من اليهودية.

ومما يلاحظوا بأن هذا الدين بقي محصوراً بين اهل بني اسرائيل و لم ينتشر في العالم، بقي كدين قبيلة تحوي افخاذا عدة وهي في نزاع دائم مع جيرانها، لان اليهودية كانت منغلقة على نفسها ولم تكن منفتحة، ومن احدى قواعدها الرئيسية هي وضع بني اسرائيل كافضل ماخلقة الله، لهذا رأوا احكام قبضتهم على جميع الدنيا امراً مشروعا، وسعة عالمهم تمتد من النيل الى الفرات و الاحداث المذكورة في التورات لا تتعدى حدود جبل جودي داخل كوردستان اليوم، فحدود عالم اليهود يبدا من جبل جودي وينحدر مع ضفاف دجلة و الفرات حتى يصلة الى ارض الفراعنة (مصر)، ومن هناك يمتد ثانية الى الارض المقدسة، اي تلك المدينة التي يتقاتل عندها حماس واليهود، أقصد بها مدينة القدس.

معتنقوا اليهود لم يكونو متحدين فيما بينهم، حيث كانوا يرتدون عن دينهم لمرات، وبعدها يقدم ولي مصلح ويسدي لهم النصح، ولهذا فأن عدد الانبياء لديهم كثير جداً وجميعهم مقبولون بررة من لدن الاسلام في فترة

زهاؤها الالفي عام، طرأت تحولات كبيرة على منطقتنا حيث اليهود يغيرون عليها، عندها قام الولاة والحكام بتشتيت معتنقي هذا الدين ولهذا نرى اليوم اليهود منتشرون في انحاء العالم، حيث عبروا بعد ذلك ومع بدء مرحلة الاستعمار و وصلوا الى قارة أمريكا.

الدين التوحيدي الثاني هو المسيحية، وهذا الدين عبارة عن نصح وارشادات عيسى المسيح الذي بدأ كنتيجة لارتداد بني اسرائيل، حيث أتت المسيحية بتوجيهات وتعاليم جديدة واكثر انسانية، في حين كان العنف قد بلغ أشده على ارض بني اسرائيل ورجال الدين لديهم مافتؤوا ان ولوا ادبارهم لنهج الايمان، و وقتذاك كانت الارض المقدسة قد احتلت من قبل الرومانين الذين لم يكن يدينون بأي دين، لان الدين في اوروبا لم يكن له دور يذكر، وفي مجتمعات أخرى كان الدين مبعثاً لظهور وتأسيس انظمة الحكم، تعاليم عيسى جمعت في الانجيل الذي هو الكتاب المقدس للمسيحين و مذكور في سبع روايات وكلها تلقى القبول من لدن معتنقي المسيحية، والمذاهب المختلفة لهذا الدين في اي مجتمع هي التي تقرر وتعطي الاولوية لأي من هذه الروايات بالنسبة لها، فالنسخ السبع للأنجيل كلها تروي رسالة واحدة وتصدق الاحداث عينها، والانجيل واندیل ليس كمثل قرآن المسلمين الذي هو من اقوال الله، فهو يقص افعال واحاديث عيسى، وواضعوه معروفون وهم بمثابة الخلفاء لهذا الدين. هؤلاء كانوا تلامذة عيسى و يسردون تعاليمه استاذهم.

جوهر المسيحية كان يتضمن رسالة الى بني اسرائيل كي يعودوا الى التاسع والزاهد والخلوة والعدالة، وبالنتيجة و بموامرة من رجال الدين اليهود تم الايقا ع بعيسى في قبضة الولاة الرومانين حيث صلب، وملحمة انبعاث من بعد الموت انما بدرت من تلامذته، فحينما صلب عيسى لم يقل

بأنه ليس يهوديا، ولم يكن يتفوه بدين جديد اتى به. وبعدها شيئاً فشيئاً وبناء على تعاليم، تم تكوين هذا الدين خلال اقوال و افعال تلامذته ومبشرية الذن نادوا باختلاف المسيحية عن اليهودية، وبان الاخيرة قد خرجت عن درب انبيائها، ولهذا بعث الله ابنه نبياً كي برشد الانسانية، وهكذا ظهر ثاني الاديان السماوية.

من الجدير بالذكر بأن الانبيا كلا الدينين (اليهودية و المسيحية) لم يلتمسوا الحكم أو يطلبوه، فقط ارادوا من الحكام والملوك ان يصغوا الى تعاليمهم ونصحهم، فحكم انبياء كسليمان و داود لم يدع الدين ان يحكم بصورة مباشرة، اليهودية والمسيحية في البداية كانت تخطو بموازاة الحكم، و عيسى تبني التراث ذاته وموعظته الشهيرة تقول بأن عمل الل يختلف والحاكم، وهذا الاعتقلد صارا انذاك واحداً من احد قواعد الاصلاح الرئيسية للدين اليهودي.

ويجب الا يغيب عن بالنا، بأن هنالك اديااناً ارضية غير سماوية ايضاً كالبوذية والهندوسية والكونفوشيوسية والشنتو بالاضافة الى عشرات الاديان الاخرى الاصغر منها، والنقاط المشتركة بين الاديان الارضية هي حكم و نصائح اساتذتها الذين اكتسبوا الان صفة الانبياء، هؤلاء ليس لديهم كتب سماوية ومفهوم الاله، وكمثال على ذلك سأل احد البوذيين بوذا ماهو الله؟ اجابه بوذا هذا الذي يعنيني وجدير بك ان لا يشغلك هذا السؤال.

وبهذا، فأن هنالك اديان ليس لها اله والعبادة لديها ايضاً تفرق عما في الاديان السماوية وظهرت لديها مؤخراً.

انها في الغالب اديان هادئة.

وحتى في الاديان السماوية هنالك فروقات كبيرة فيما بينها، فاليهودية ليس لديها القيامة والانبعاث و الجنة والنار، كانت هناك الجنة ولكنهم فقدوها بعد خطيئة ادم وحواء، بعدها في المسيحية ظهر مفهوم الجنة والسعير ثم اكتمل المفهوم لدى الاسلام، الكتاب المقدس عند اليهود وهو التوراة، ولكن المسيحية ترى التورات والأنجيل معاً كتابها المقدس.

ثالث الاديان السماوية هو الاسلام، حيث يعتب لديه الدينين الاخرين (اليهود والمسيحية) دينين منسوخين والكتب المقدسة لهما لاتلقى القبول من عنده.

القران لدى الاسلام هو اقوال الله، وهنا اذا تحضر في ذهننا تلك المقارنة والاستعارة القائلة بأنه اذا كان نبي المسيحية هو ابن اللة، فالكتاب المقدس لدى الاسلام هو قول الله، وهنا يتطور التجريد في المعاني الدينية، فالاديان الارضية والسماوية اديان في الجواهر، ولكنها مختلفة من حيث الفعل والسلوك. الاديان الارضية لاتاتي لنفسها باية تبريرات سماوية، عكس مانجده لدى الاديان السماوية التي ترى بانها تمثل الله ورسالته، فهذين النوعين من الاديان انما ينقسمان على نوعين اثنين الهادىء المرن و العنيف.

ظهر الدين الاسلامي على يد النبي محمد وتسنى له ايجاد الارضية بعد صراع اجتماعي ومعرفي شديد الضراوة داخل مجتمع جزيرة العرب، وتمكن هذا الدين بقيادة محمد ان يحل المشاكل و يوحد الناس، في هذا الدين ظهرت المواعظ والتأريخ والقانون والتعاليم الجديدة، والتي كانت بعضها تعديلاً وبعض اخر اعادة والبعض منها كانت رمضاً لكلا الديني السابقين.

القران،/ الذي هو الكتاب المقدس لدى الاسلام، هو استمرارية غير منقطعة لمسيرة ذلك التاريخ والتي ابتدعت الاديان السماوية الثلاثة في العالم، لذا فان مواضعه ليست بغريبة عما هي مذكورة في التوراة والانجيل.

هذه الاديان الثلاثة (اليهود، المسيحية، الاسلام) تشكل قاعدة لحضارتي العالم الشاملتين (الغرب، الشرق) واللتان تظلان عالم اليوم وغالبية المشاكل واخلافات انما هي ناجمة عن خلافاتهما الدائمة، ان مفهوم الاله الخالق لدى الاسلام هو اكثر سعة وغنى عن ذلك المفهوم عند اليهودية والمسيحية، لذا فسيطرته على المجتمع اكثر اتساعاً وصرامة ايضاً، الله لا يمكن ان توضع له الاوصاف، وهو قوة دائمة ليست لها نهاية وليس للانسان ان يتأمل فيه كثيراً، فقط عليه ان يخشاه ليس الا.

والله في عين الوقت رؤوف رحيم، كذلك عزيز ذو انتقام تجاه عباده، لكن انتقامة ليس في هذه الدنيا الفانية، بل في دار القرار.

وجود اعتقاد الاصابة بالبلاء جراء الاعمال السيئة، هو استعارة صفة من صفات اله الدين اليهودي، واله الاسلام ليس بالمستبد، بل هو رحيم متسامح مع عباده، على غرار الف ذنب وتوبة واحدة. لايوجد في اليهودية مفهوم الجنة لكنه معرف لدى المسيحية، الا انه في الاسلام اكثر سعة ووضوحاً عما عليه في المسيحية، والهدوء الذي كان يضفيه عيسى على مفهوم الله، غدا اكثر اكتمالاً عند محمد الذي سهل الفهم للناس اكثر، وقسم الجزاء والثواب بين الارض والسماء، لكن في المسيحية كان يقترح الزهد والخلوة والافتداء فقط، والقول الشهير لعيسى يقول: اذا ضربوا على خدك الايمن، فأعطهم خدك الاخر، بهذا عيسى يقول لا تصفع احداً، الا انه في الدين الاسلامي يحق لك الدفاع عن نفسك، وفيه كل الصفات

السامية مثل الشفقة والتسامح والعظمة والجلالة اعطيت لله، فآيات القران حفظت كل هذه الصفات، وهذا عكس ما هو عليه في اليهودية والمسيحية، حيث موسى وعيسى يقصان كلام الله، فالأنجيل غالبيته انما هو مواعظ وافعال عيسى، ويشبه الى حد كبير عمل اساتذة البوذية والكونفوشيوسية، ولهذا فالانجيل خط بأيادي تلامذته.

في الدين الاسلامي غدت الاقوال كلمات الله، ومن ثم تعاليم مقدسة لا تقبل الجدل و واجبة التنفيذ، لك الحق ان تفسرها كي تفهمها ولكن لا ان تغيرها، وبعد ذلك جاءت احاديث و سنن الرسول والتي اصبحت ثاني مصدر ثابت في الدين الاسلامي.

من الضرورة هنا اجراء مقرانة تأريخية بين الاديان السماوية الثلاثة، ان تعاليم الدين اليهودي كانت موجهة الى بني اسرائيل كي يتوحدوا ويعترفوا بحقائق دينهم بغية الخلاص من ويلات التشرد وجور الدين ليعودوا الى ارض الغلال والعسل والتي كانوا يرون فيها وطنهم المقدس، كان على ولاة اليهود وحكامهم ان لا يخرجوا عن نصح و اوامر اكابر الدين لديهم، لكن المسيحية ومنذ البداية بدأت بالعمل التبشيري طالبة من المجتمع المخرف فقط ان يصون نفسه ويعود الى جادة الصواب، وهذا الدين بعد صلب عيسى وعن طريق التبشير وسع من رقعته وغدا دينًا رسميا للامبراطورية الرومانية، بعد ذلك فرض علة الانسان كدين الدولة حيث توحد الدين والدولة في مؤسسة واحدة، لكن الاسلام في بدايته بدأ كدين الدولة وكان القرآن دستوره وقانونه الاساسي، فالتنظيم الاجتماعي والعقاب والثواب كلها مدرجة في القران، وبعد وفاة النبي جمعت احاديثه وسننه واعتبرت من قبل الدولة ذاتها كمكملة للقران، واول دولة اسلامية تأسست بقيادة النبي نفسه وأنتهت في عهد على بن ابي طالب.

في اول دولة اسلامية والتي تعرف بدولة الراشدين خمسة من الحكام تولوها تباعا، وهم محمد، ابوبكر، عمر، عثمان وعلي. وبعدها بدا عصر حم الامويين، ومن ثم العباسيين، بعد ذلك ظهرت عدد من الامارات الصغيرة وعقبها اخيراً الحكم العثماني، حيث في ايران تنامى المذهب الشيعي و برز الحكم الصفوي الى جانب الحكم العثماني، ومن هنا فصل مذهبي الشيعة والسنة الحكم عن بعضهما و كانا دائما في حروب ونزا ع.

الاسلام في عهد النبي محمد والى نهاية حكم علي لم يكن بحاجة الى نص مكتوب، لان القران كان يقرا عن ظهر قلب و غالبية الصحابة كانوا على قيد الحياة، بعد ذلك قام عثمان بجمع القران حيث كان نسخاً فيه اختلاف كنسخ انجيل عيسى، حينذاك اختار عثمان نسخة واحدة وأحرق النسخ الاخرى كي لاتخلف الفروقات في هذا النص المقدس جدالا و بجنبه حدوث قلاقل اكثر، ومن الظاهر ان ذلك القرار من قبل عثمان كان سياسياً وعن مصلحة، لأن بعد عمله هذا قتل نتيجة الاضطرابات، لذا من الممكن القول بأن النسخة الحالية هي القران المصدق من قبل الخليفة عثمان، وأن نصوص الاسلام المقدسة تم الحفاظ عليها مع تعديل جد طفيف، ولهذا نرى بأن تأثيرها على المؤمنين بها مازال قوياً جداً والى الان.

وفي عهد الامويين تم جمع احاديث النبي و دخلت عمليات الشرح والتفسير والتأويل كحاجة الى داخل معرفة الدين الاسلامي، وهذا ايضاً أسس لمرحلة جديدة في الاسلام حيث ظهر معها أساتذة جدد من ذوي الرأي والاجتهاد، هؤلاء الاساتذة وضحوا لبنة الشريعة وقسموا علوم الدين على حقول و مجالات عدة، واستناداً على قاعدة التفسير اتوا بأوامر وتعاليم جديدة، ومن هؤلاء الاساتذة خمسة منهم اسسوا مدارس داخل

الدين وانقسم المسلمون بهديها على خمسة مذاهب، الشافعي، الحنفي، الحنبلي، المالكي و الجعفري، والمذاهب الاربعة الاولى قريبة جداً من بعضها وتختلف في التفاصيل فقط، فهي كانت متفقة على قاعدة السنة النبوية وتراث حكم الراشدين، اما المذهب الخامس وهو الجعفري فقد ابتعد عن المذاهب الاخرى، لذا عوملوا ككفار واستبيح دمهم، جعفر الصادق هو واضع فقة الشيعة الجعفرية، لكن ذلك الخلاف بدا بمقتل علي وهو مستمر الى يومنا هذا في العراق العربي.

فهذه المذاهب فتحت الطريق امام البحث والتحليل والاجتهاد و فسحوا الفرصة للحكام الاخرين كي يصدروا القرار الحاسم حول تفسيراتهم المقبولة في نظرهم.

ومن ثم فرض العقوبات التي يروق لهم بغية احكام السيطرة على المجتمع هنا الشريعة تولدت منها فرقاً مختلفة وسأتي على ذكرها لاحقاً.

وهنا حينما نبحث هذه الاديان بواقعية، فهي تتوزع على قسمين، اوله الاديان الارضية الهادئة، اما الثاني فهي الاديان السماوية الصارمة، فالاديان الارضية هادئة مرنة لان العبادة لديها عبارة عن مواعظ اساتذتها الانبياء، بينما الاديان السماوية هي من كلام الله و من اختاره الله و ابن الله، حيث تفرض على معتقديها، لهذا فالاديان تلك مقترنة بالجزاء والعقاب وهي تستعمل العنف. اعود ثانية واسأل ماهو الدين؟ في الحقيقة انه عبارة عن نظام معرفي واسع يجيب على اسئلة الانسان الرئيسية المتعلقة بالوجود وماهية الانسان وعاقبة مصيره، وكيف ينظم نفسه، والفرد الآدمي كيف له أن يعيش، ومتاهي وظائفه الاجتماعية، ماهي حقوقه، اذاً الدين نظام داخل ثقافة كل المجتمعات، ففي الدين الجماعة تؤخذ بنظر الاعتبار وليس الامة، وعليه ان عاشت مجموعة كبيرة من الامم

مع بعضها، حينذاك وفقاً للمنظور الديني يعتبر كلها جماعة واحدة، واذا عاشت أمة واحدة لوحدها، فهي تشكل وحدها جماعة.

ان مرحلة، والدين انما هيأ الانسان للمرحلة التي اعقبته والتي هي المرحلة العلمية و مرحلة معرفة العالم والتعرف عليه من قبل الانسان نفسه دون اللجوء الى المعتقدات الغيبية والتعاليم الدينية، وفهم الدين يتم عن طريق المنهج العلمي وليس بانكاره او الوقوف ضده.

لذلك فمعاكسة الدين ليست بمقدورها ان تعثر على اية حلول للمجتمعات الدينية وهي لاتساعد المرحلة العلمية، وهي بهذا لاتعاضد حرية الرأي و تثبيت اسس الديمقراطية والنظام المدني.

الدويلات الدينية كيف ظهرت؟بعد نهاية خلافة الراشدين والامويين، صار لزاماً ان تجمع النصوص المقدسة لتنظيم وقيادة الجماعة على هديها، انذاك كان القران قد جمع، لكن احاديث النبي و سننة كانت تنقل شفاهاً، ناهيك عن التأويلات المختبفة حولها، حيث ظهرت فرق تعادي بعضها البعض داخل المجتمع المسلم و كانت قد بدأت نزاعات دامية، عدا الخوارج والمعتزلة، الحرب الاكثر ضراوة لتصفية احدهم الاخر هي التي شنت على عائلة النبي حيث جميعهم قتلوا.

في تلك الظروف كانت الارضية مواتية لتنامي ظاهرة التأويل، والمذاهب الخمسة انما ظهرت انذاك، ومفكرو هذه المذاهب الدينيين وكنتيجة لمتطلبات ذلك الظرف، وبعد ان انتهوا من جمع الاحاديث وتصنيفها، اعطوا الحق لانفسهم بأن يفتوا ويجعلوا من ارائهم مكملة لنصوص دين الاسلام المقدسة، ولهذا فالشافعي وابو حنيفة وابن حنبل والمالكي وجعفر الصادق فيما يخش هذه العملية قد وقعوا في مشكلة معقدة البعض منهم

ذاقوا الاما كبيرة.

نحن لماذا نقف عند دين الاسلام فقط؟ فالمنظور الديني للدولة لم يكن في دين الاسلام وحده، وكما هو ظاهر، سبق وان ظهر منظور الدولة الدينية لدى المسيحية و قطع مرحلة طويلة وحالكة حيث انتهى بالهزيمة.

ومنظور الدولة الدينية لم يظهر سوى في المسيحية والاسلام كذلك الاديان الاخرى ايضاً كانت لها تأثيراتها المختلفة على شكل ادارة الدولة ولكنها لم تجاوز ذلك الحد، ومشكلتنا نحن تكمن في دين الاسلام ذلك الحد، حيث يجب ان نجري نقاشاً عليه الى ان يسلك طريق الاصلاح و يبتعد عن السياسة ومن ثم يترك معاقبة الفرد جانباً ويكتفي بالمواعظ فقط.

فدويلات الراشدين والامويين والعباسيين والعثمانيين لاتنظر اليها كدولة، بل كانت امارات على اقاليم شاسعة مفروض عليها ذات الدين، لأن الدولة الحديثة هي صاحبة مؤسسات تكمل بعضها البعض وهي لم تكن موجودة في ظل الدويلات والامارات السابقة الدويلة الأموية هي الاولى بعد الراشدة التي اعطت وأولت الزخم والقوة للفتوحات والأجهاز على البلدان الاخرى ومن ثم فرض دين الاسلام عليها وترويبها، وكان ذلك نابعاً من قدسية حيث نزل القران بتلك اللغة واختارها اللة لايصال خاتمة رسالاته الى العباد، كذلك فأن خاتم الانبياء ايضاً كان من الملة واللغة ذاتها، ويعزى هذا الى المشكلة كانت قائمة بين القبائل العربية واليهود في جزيرة العرب انذاك، فقبل نزول القران كانت هناك رواية في التوراة تقول بأن اليهود هم صفوة اختارهم الله من دون الناس ، وبأن الله يرى فيهم العقل والمهارة اكثر من الملل الاخرى، ولهذا يرى اليهود بأن قيادة العالم كله انما تليق بهم، هذا مع التذكير لما ورد في الانجيل، حيث المنظور هذا

على سعة يقول بأن الله خلق الانسان وصوره على هيئة وليس بالمستبعد أن يكون تباهي اليهود بأنفسهم قد نتج عن هذه الثقافة التاريخية العتيدة التي بحوزتهم، وانا في كلامي هذا لا ابدي تأييدا او معارضة لأي دين، فقط اريد ان اقارن بينها ليس الا.

وهذه النظرة انعكست على القرآن، حيث ان اغلب الايات انما كانت حول المشاكل التي مع اليهود، وفي بعض من آياته نراه مكملاً لما جاء في التوراة.

وعلى سبيل المثال عندما يظهر خاتم الانبياء بين العرب وبلغتهم، يستدل من هذا، بأن الله ومن خلالهم يخضع مجتمع عباده وللمرة الأخيرة للأصلاح، وهذا ماهو امتداد للتوراة وتقليد له.

اقول هذا كي اثبت لماذا الأمويون وهم من سلالة النبي محمد اولوا اهتماماً صارماً بالتأسلم والتعريب، حيث لم يكن انذاك لمفهوم القومانية اي معنى ولم تؤت به حتى ضرورة الحياة، لذا من غير الممكن ان نعتبر اصرار الأمويين هذا على انه وجود للشعور القومي المتطرف. الا ان مفهوم الموالي والعربي قاد ظهر حينذاك، وقواعد التوجه للمذهب السني اعدت في زمن ألامويين، واليوم ان المتطرفين والسلفيين يحاولون استنباط مبادئهم من المرحلتين الراشدة والأموية كلتيهما.

من الضرورة بمكان ان اذكر هنا بأن اساتذة المذاهب الاسلامية الخمسة قد لقوا الامرين على يد ولاة المسلمين انفسهم ولم يكن الطريق امام نمو هذه المذاهب بالامر الهين، فالأمويون عذبوا ابو حنيفة اما العباسيون فوضعوا الشافعي وابن حنبل تحت الضغوط.

ولازم تطور المذهب السني طريقة اخرى مغايرة ارادت وضع كل مناحي

الدين والحياة وأخضاعها للنقاش والجدل، وتلك كانت طريقة المعتزلة الذين تعرضوا للقمح بشراسة. فالمعتزلة كانت تؤمن بوضع القرآن على يد البشر لأنه خرج من فم النبي الذي هو عبد من عباداالله، لذا فالقرآن في نظرهم كان من وضع البشر رغم النظر اليه كنص مقدس، فهم كانوا يفتحون الباب بوجه كل ظاهرة ويجرون عليها النقاش و من ثم دراستها بعقلانية، لكن السنة كانت تقول أن القرآن منزل من السماء كما هو ولا يقبل اية مجادلة، ونهاية المطاف فرض هذا الرآي وغدا ايماناً مقدساً لدى المسلمين.

الخليفة العباسي المأمون صدق لفترة وجيزة ما ذهبت اليه المعتزلة، وكان في الفترة ذاتها يعيش فيلسوف الآسلام الشهير الكندي و ينشر مبادىء و دعوات المعتزلة، ففي عهد معتزلة المأمون، بدلاً عن حرق كتب وتراث الامم الاخرى، لقت الترجمة من اللغات الاخرى الى العربية اهتماماً متزايداً، والضالعون في اللغات السريانية واليونانية و العبرية ترجمة وكتابة لقوا الدعم الكافي، وكان هذا عكس ما أمر به عمر بن الخطاب بحرق الكتاب متى ما وجدوه في اي مكان، وحملة اصرار النار في الكتب بعد الحاق الهزيمة بالدولة الساسانية و احتلال مصر و حرق مكتبة الاسكندرية، تعد من الكوارث العظام التي لحقت بالفكر والمعرفة، حيث مالا زلنا نعاني من اثارها الى اليوم، فلم تنجو كلمة واحدة في فترة ما قبل الاسلام من هذه الحضارات العريقة التي معابدها ايضاً قد هدمت.

ففي زمن المأمون اصبحت بغداد مركزاً للأشعاع الفكري والعلمي، وجميع التكوينات الدينية والفكرية فيها كانت تناقش بعضها وتبرز جدارتها، حينها غدت ثمار الفلسفة اليونانية في متناول المراكز الدينية والفكرية وامتزجت بالاراء الفقهية المختلفة، فأصحاب الفكر من الكندي

الى ابن الرشد هم نتيجة ذلك الانفتاح الذي ساد في عهد المأمون، وفي ذلك الاثناء ظهر علماء من امثال الفارابي والغزالي وابن سينا وابن خلدون، وآخرهم كان ابن خلدون الذي برع في البحوث الاجتماعية مقترباً حدود الاسلوب الاكاديمي، فهؤلاء احدثوا جدلاً وحواراً واسعاً لدى النخبة الفكرية والدينية، وأصحاب الفكر هؤلاء انما كانوا يقفون عند نقطة واحدة وهي محاولتهم لتكييف وخلق الانسجام بين الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية في جانبيها النقلي و العقلي. وكان هذا من آثار ونتاج الأسلوب الفكري للمعتزلة، وسرعان ما تعرض اصحاب الفكر هؤلاء الى القمع والتكفير، وهكذا نرى بأن في تأريخ ولاة الاسلام وحكامه كانت الابواب موصدة بوجه النشاط الفكري، ومثالاً على هذا ان المأمون وبعد مدة انقلب على الاعمال التي كان قد بدأها. وبرز الى الوجود تيار محافظ متطرف لمناهضة المعتزلة بأسم الاشعرية، وهؤلاء كانوا من المنادين بالسنة متبنين التأويل المحافظ للنصوص المقدسة (النقل) ورافضين كل الاشكال والاساليب الاخرى، وكل فكر مغاير لمنظورهم كانوا يضعونه في حانه البدعة والبدعة كفر والكافر دمه مستباح، وعليه فأن محو الفكر وقتل صاحبه في تأريخ الاسلام تقليد ليس بجديد، فقتل الأئمة من اصحاب الرأي والمتصوفين و العارفين على يد خلفاء وسلاطين الاسلام كان عملاً مألوفاً.

وأذا اجرينا مقارنة بين قرون حكم الكنيسة في العالم المسيحي مع الاسلام. نرى بأن العالم لااسلامي ومنذ ان اعلن النبي الحكم الاسلامي والى يومنا هذا يعيش في ظل الامارة والدولة الدينية، لكن بأشكال تختلف والمرحلة التي شهدها، ولهذا نجد اليوم بأن الموضوع الساخن والملح في العالم الاسلامي هو حول امكانية الفصل بين الدين والدولة، فحين يقال

بالآ يتم الفصل بينهما انما يعني بأن تسن القوانين وفقاً لقواعد الدين، وعملية مزج هذا المنظور الديني مع بعض من القوانين والمبادىء العصرية لا تغير من جوهر القضية شيء.

هنا اود ان اعيد قولي بأن سلوك العنف ازاء الانفتاح الفكري في العالم الاسلامي له تأريخ طويل واذا اردنا ان نجد له علاجاً ان نفهمة اولاً، ولا يجوز ان نتفوه بكلام من عندنا هكذا اجزافاً، ظهر التصوف وانبنى على فرعين، اوله كان من التوجه العقلاني للمعتزلة، والعلاج أنموذجه البين، اما فرعه الثاني فجاء عن طريق ايران من الهند ودخل الى العالم الاسلامي، وقبل هذا كانت ثقافة الخلوة متبعة من لدن علماء الدين المسيحي، وعندما كان المحتلون المسلمون (الفاتحون) يسيطرون على البلدان و الثغور، كانوا يفرضون دينهم ولكن لم يكن باستطاعتهم اجتثاث الثقافة والمبادىء الثابتة المتجذرة لشعوب تلك البلدان، لذا كانوا مجبرين على غض طرفهم عن بقايا ارث تجلبه المجتمعات الداخلة في الاسلام حديثاً، فهذه المعتقدات كان يؤخذ بها في الطقوس والاعراف، حيث اخيراً كانت تمتزج بالدين، زكان هذا على هامش النصوص المقدسة وفي التفاصيل يعمل على تطعيم المعتقد الديني، وبهذه الصورة دخل فكر التصوف وتقاليده الى الاسلام وخلق خليطاً جديداً، والمواد الغير عربية هي ذلك الخليط الذي يحوي جذوراً بوذية وزرادشتية.

كان التصوف تمرداً معلناً بوجه تعريب المجتمعات وفرض المعتقدات الدينية بقسوة عن طريق الشريعة.

و وجه الاختلاف بين النصوص المقدسة و الشريعة يكمن في ان النصوص المقدسة غير محددة ويمكن فهمها، الا ان الشريعة هي تفسير وتأويل جامد لتلك النصوص ولمرة واحدة محسومة، ولهذا نرى أن المذاهب

الخمسة مستمرة والى اليوم دون تغيير، ولكن هناك منظور اخر يبقي الباب مفتوحاً امام تأويلات انسان هذا الزمان على مصراعية، وهذا بحد ذاته يحدث تغييراً داخل الشريعة ويخلصها من الوجهة الجامدة.

ان ثقافة ايران القديمة ذو الجغرافية الواسعة كانت خزينة لهذه الاراء، والثقافة هذه اصبحت دافعاً لانهاء الامويين و الاتيان بالعباسيين، وقيادات العساكر العباسية كانوا منهم، وهم الذي كانوا يتولون تغيير الخلفاء، وهم الذي فتحوا الطريق امام الهجرة الدائمة للقبائل التركية في شمالهم كي تندفع نحو بغداد ومن ثم باتجاه بلاد الروم الشرقية، حيث نتج عنا الحكم العثماني في المنطقة، وفي ايران كذلك ان الاسر المتصوفة والشيعية للشيخ صفي الدين الاردبيلي فرضت المذهب الشيعي على ايران وجنوب العراق والخليج، العثمانيون كانوا على مذهب السنة، بينما الصفويون كانوا شيعة، والاثنان كانا في صراع وحروب مع بعضهما، حدود معاركهما كانت تبدأ من الخليج وتنتهي في كوردستان، وهذا مادى الى تمزيق كوردستان الى شطرين.

الصفويون في العلوية اختاروا المذهب الجعفري وفرضوه، بينما العثمانيون لاقى استحسانهم المذهب الحنفي، وكان ابو حنيفة ايرانياً ورأيه عكس ما ذهب اليه الشافعي حيث اجاز لغير العربي ايضاً تبوأ خلافة العالم الاسلامي، لكن الشافعي كان يؤمن بان يكون خليفة الاسلام قريشياً والمسلمون من غير العرب هم موالون ويأتون في الدرجة الثانية.

وكما هو ظاهر، ان الامبراطورية العثمانية قد تفككت في العقد الاول من القرن العشرين ضيقت رقعتها الى الحدود هزما ايضاً وحل القاجاريون مكانهم، ورقعة الصفويين كذلك قد انكمشت الى الحدود التي هي ايران اليوم، وكان لبريطانيا و روسيا اليد الطولي وبشكل مباشر في

اضعاف و تحجيم امبراطوريتي المسلمين السنية و الشيعية، وكان لفرنسا في هذا المشروع دوراً نشطاً، حيث كانت تفرض عليهما تأثير ثقافتها، وبهذه الصورة تعرضت الادارتين الدينيتين لهجمات الاستعمار وتهدمنا. فالاستعمار كان يهاجم اسيا لاهداف واضحة مثل السيطرة على الثروات، التاثير الثقافي، اذابة القوميات في بوتقة لغته، استخدام جغرافيتها كميدان للحروب بين الدول الاستعمارية ذاتها، حينئذ كانت مرحلة الانبعاث القومي في اوربا، فالأنكليز والفرنسيين و الالمان والروس كانوا في تنافس شديد، والشئ الذي لا يمكن تناسيه هو بان هدفاً اخراً للاستعمار كان نشر الدين المسيحي من خلال المحاولات التبشرية التي كانت ليها تأثيراً بين المسيحين في الشرق، حيث كان مسيحيو العالم الاسلامي غير ملمين بتغيرات و مذاهب الدين المسيحي في الغرب.

الدول الاستعمارية و من خلال الاخذ بالتوجهات الجديدة، ومن ثم الاعتماد على مختصيها وخبرائها السياسيين والعسكريين والاداريين بالاضافة الى هيئاتها التبشيرية، تمكنت من تكوين جيوشها من شعوب المنطقة وانهاء امبراطوريات الاسلام العملاقة! لماذا؟ ان علة هذا المآل ترجع الى الامبراطوريات ذاتها التي لم تركع للدولنة الحديثة و بقت على طبيعتها المختلفة الخاوية الى ان اضمحلت.

بعد ان اعاد الاستعمار رسم الخريطة السياسية للمنطقة تبعاً لمصالحها، ظهرت بعض التغيرات الاجتماعية وبرزت معها كيانات دول ايضاً، ولكن هذه الدول الجديدة في جوهرها اعيدت وفق مقاسات الدولة الدينية وبقيت كذلك.

ومثلما هو معلوم بأن جميع مصادر القانون والعرف انما تصاغ وفقاً للمعتقد الديني. لماذا؟ لأن اية فكرة غير شرعية كما السابق تعد بدعة

ولايؤخذ بها، والخروج من دائرة مفكري الدين، وهذا يثير الشك لدى الانسان ويجعله ان يبحث عن الجواب، وعمل كهذا منعه الفكر الديني على الانسان.

وفي الحقيقة اذا كان الشك يدفع بالانسان نحو التفكير ويخلق لديه السؤال، مجبراً اياه على معالجة مشاكل العالم الذي يعيش فيه، وبالنتيجة اذا احدثت الاجوبة تغيراً في الوعي الاعراف وبالنهاية ادخلت القانون داخل النظام الاجتماعي فهذا هو عمل حسن.

ولكن بما ان القانون في الشرق كان محرماً وكانت الشريعة هي السائدة، لذا فالعملية هذه تعد اسم القانون، لذلك ان خرق القانون كماتحسبه ضمائرنا ليس بجرم او خطيئة، ولهذا فخرقه ليس بحرام ولا يستدعي المسائلة، وهذه الذهنية هي التي تقف وراء صعوبة فرض القاون في العالم الاسلامي.

والسبب الاخر الذي ادى الى زوال هذه الامبراطوريات هو فرض جانب العبادات بشكل صارم وجامد على جميع افعال سلوكيات الانسان، ولا اعني بهذا منع العبادة، بل عندما تفرض و توضح لها عقاباً دينوياً كما تفعل طالبان و السعودية، حينما يقف الشرطي عند الظهيرة و يجبر الناس بالسياط عنوة كي يتوجهوا الى الصلاة، في حين ان الدين الاسلامي يحث على النصيحة والموعظة وهنا يمكننا القول بان الاسلام اعطى مجالاً كبيراً لعقل ومنطق و تفكير الانسان، لكن المنظور السني لم ياخذ بشيء سوى الفرض حيث ازهق التوجه العقلي وعمل منع التفكير الفلسفي و قطع الطريق على سن القوانين وتغير العرف والتقاليد، وبهذا لم يدع مجالاً للتفكير والاسلوب الوضعي، لان المنظور الوضعي يعطي المجال للمجتمع ان يشرع قوانين و قواعد تنسجم و عملية تنظيم الحياة

في هذه الدنيا، وهذه الاسباب بمجملها ادت الى تسريح تفكك الركائز المانعة للمجتمع الاسلامي و جعلت من هذا المجتمع لا يبدي اية مقاومة ازاء هجمات الاستعمار المسيحي، وهذان الدينان كانا في نزاع مرير ضد بعضهما البعض لمئات من السنين، وبما ان للأديان تاثيرها على نشوء الثقافات، لذلك كانت الدولة الحديثة للغرب في جوهرها تحمل عبق المسيحية و مطعمة بها، و هذه كانت حجة سائحة بالنسبة الى الثقافة الاسلامية كي تتصدى لها، لأن ديناً اخراً لا يستطيع ان يرى معتنقي الدين المنافس له طريق التغيير.

ان الحروب بين الاديان لا تمت الى المنطق بصلة، بل انها اوامر صارمة وثابتة كي تبيد بعضها، وكمثال على هذا ان الحرب الجارية الان في القدس من هذا النوع وان لا رابط بينهما و بين المنطق على الاطلاق.

والاستعمار فكك الامبراطوريات التقليدية الدينية في العالم الاسلامي و قبل ان تتكون لديها اية استعدادات فكرية واقتصادية، ولهذا نرى بأن المجتمعات المسلمه منذ ذلك الوقت والى اليوم تعيش في مشاكل جمة.

الايديولوجيا على انقاض الامبراطورية

بعد جلال الدين الفغاني، يعتبر حسن البنا ثاني الشخصيات المؤثرة في مجال تطوير الايديولوجيا و الحركات السلامية المتطرفة، حيث لعب دوراً جلياً وتمكن من ان يخلق ايديولوجيا متهجمة من الدين، للوقوف بوجه التحولات الاجتماعية في العالم الاسلامي، ويعتبر من اولئك الاشخاص الذين وظفوا بذكاء التراث العربي و الاسلامي من اجل ذلك، فهؤلاء كانوا يبحثون عن بديل لتوجهات الغرب الاستعماري، ومن اجل هذا التجأوا الى تجربة الامبراطورية العثمانية، ولهذا نرى بأن تلك الامبراطورية لها مكانة

مرموقة في فكر الاحوال وينظر اليها كأنموذج حسن.

ومن الظاهر كانت الامبراطورية العثمانية تحكم الكثير من الشعوب. لكن اللغة التركية كانت هي السائدة، وان السلاطين العثمانين لم يكونوا يعرفون اللغة العربية، وكانت لهذه الاسباب الدور في تكوين ثقافة هذه الامبراطورية و خاصة في الجزء غير العربي من العالم الاسلامي. وبطبيعة الحال توقف التعريب في ظل هذه الامبراطورية، بينما ألستمرت الاسلمة، وهذا ما يدفعنا إلى اجراء مقارنة بين اسلمة وتعريب جنوب اوربا على يد الامويين و بين اسلمة شرق و وسط اوربا من قبل العثمانيين، والعثمانيون كانوا يحبذون الاسلمة يالدرجة لاساس، وفي مجال اللغة كانوا يحاولون تتريك هذه المناطق، لكن لغة الدين كانت العربية، وهذا ما جعل من الصعب تغير اللغة، الامر الذي كان في صالح لغة الاوربيين الذين ادخلوا الاسلام، وهذا السبب كان عاملاً لأضعاف الاتراك، في الوقت الذي كان الامويون يجمعون العمليتين معاُ.

الامبراطورية العثمانية ومن الاساس لم تكن تسير على هيكلية دينية وعائلية مؤسساتية متينة، لذا كانوا يعتمدون دائما على ذلك الجيش العائلي الخاص والمدرب جيداً المسمى ب (يني جري) مع هذا كانت عمليات القتل والتصفية والايداع في السجون امراً مألوفاً داخل اسرة السلطنة، وعلماء الدين كانوا ياتون بتبريرات دينية لتكييف هذه الحوادث والتخفيف من حدتها وحدث ان سجن السلطان ابنه او أخاه دون السماح لاحد أن يراه مطلقا، لذا كانوا بعد موت السلطان حين يخرجون ولي العهد من سجن العائلة، يرون بأن ولي العهد يعاني من مرض نفسي شديد و يعيش في حالة من اللاوعي المطبق، لأن في الفترة التي قضاها في السجن، لم يكن يأتون له سوى بالخبز والجنس، واذا ما كانت تلك

المرأة (الجارية) قد حملت منه، عندها كانوا يرمونها في البحر وهي حامل، هكذا كان حال مؤسسة العائلة العثمانية، ولهذا لم يكن بمقدورها ان تكون بؤرة خيرة لتنوير الشعوب الاخرى، والامبراطورية العثمانية لم تكن على قدر من المتانة والمركزية، لذا كان امراء الولايات البعيدة دائما يرون الفرصة امامهم ليتمردوا و يخرجوا عن طوعها.

والعمنة كانت تعني التأسلم و حكم السلطان التركي، والدليل على هذا، القول الشهير ل (أمين زكي بك) : لم اكن اعرف بأنني كوردي، الا بعد ان وصل الينا الفكر التنويري القادم من اوربا.

الفكر القومي لم يكن موجودا منذ الا زل، اللغة والثقافة كانتا موجودتين في القديم، لكن الانبعاث وامتلاك الهوية للمجتمع حدث في عهد الرأسمالية، وكان ذلك بمعنى جغرافية سياسية ذات حدود واجبة الحماية لكي ينمو الرأسمال ويتقدم التكنولوجيا، وهذا ماخلق انتماءاً جديداً و نفسية جديدة، كذلك ولد في وعي الفرد شعوراً جديداً، كي يظهر نفسه هل بأنه الماني او انكليزي او فرنسي، فالمنافسة والحروب الكبيرة لاحتلال العالم وتوزيع القارات المتخلفة بدأت انذاك وبأسلوب حديث، ونتيجتها كانت تغيير اللغة والمعتقدات الدينية لقسم اعظم منهم، كمثل امريكا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا التي هي خارج العالم الاسلامي.

تكون الدين في مرحلة ولعب دوره في المجتمع وكذلك الان فانه لم يفارق دوره هذا، لكنه لا يصلح وادارة الدولة الحديثة، واقصد بكلامي هذا جميع الاديان، فيجب ان نؤمن بأن ادارة هذه المرحلة لاتتم سوى عن طريق الدولة المؤسساتية، مثلما كانت الارضية مواتية في السابق للدولة الدينية بأن تلعب دوراً، وعلى سبيل المثال ان مؤسسات الدولة وعن طريق القانون تدافع عن المجتمع والأسرة والفرد، ولكن هل كانت هذه المفاهيم و الحقوق

موجودة في المراحل السابقة يا ترى؟ كلا لم تكن موجودة، فمشكلة الشرق الاسلامي هي حول ذلك الاعتقاد: هل تحل الدولة الحديثة محل النظام القديم ام لا؟ بمعنى هل يعطي الفرصة لوعي الانسان بأن ينظم شؤون زمانه هذا ام لا؟

ومشكلة الاسلاميين المتطرفين انما هي على هذه المسألة وهم لا يرضون بأن ينظم القانون شؤون هذا الزمان، لذا فالابواب موصدة بوجه ابداعات فكر الانسان في العالم الاسلامي، وهذا الاغلاق شمل مؤسسات علمية واجتماعية كالجامعة والاسرة، ومن جانب اخر ان التطور التكنولوجي اعطى المقدرة للمجتمعات بأن تتواصل فيما بينها وتتفاعل معاً، عكس ما كان عليه في السابق بالنسبة الى تكوين الوعي للفرد داخل البيت والمحلة والقرى والمدن، حيث كانت العملية هذه تعيد فقط انتاج بشر بنسخ قديمة ببعض تغييرات طفيفة، لكن الان فأن الاجيال المتناظرة للمجتمعات البعيدة عن بعضها متواصلة فيما بينها، ناهيك عن التأثير والتأثر، ولهذا تكاد ثقافتنا تهتز وتخرج افرغاً وغصوناً جديدة، حيث الجوانب القاسية من ثقافتنا في تلاش ولم تعد بأمكانها الصمود بوجه منطق و انفتاح الحياة.

الأصلاح في استقبال الدين

تعرضت الدولة الدينية في العالم المسيحي الى نقد وضغوطات المتنورين ايام النهضة (الرنسانس)، حيث اخضعوا النظامين الديني والاجتماعي لعملهم النقدي، وكان بالنتيجة ان تلاشى هذا النظام وحلت الدولة الدينوية (العلمانية – سيكولار) محل الحكم الديني وكان البديل الوضعي عبارة عن ابعاد الدين عن ادارة الدولة وتنظيم طريقة حياة الفرد، حيث تراجع الدين منسحباً الى داخل الكنيسة كي يتولى هناك وبكل حرية مسألة العلاقة بين

الفرد والرب وينشغل بالنصح والمواعظ.

وفصل الدين عن الدولة الدينوية لم يكن بمعنى القضاء على الدين، لأن مشاهير المتنورين كانوا اناساً متدينين، وبعملهم هذا فصلوا بين الايمان والدولة الدينية واثبتوا بأنه من الممكن أن لا يرضى الشخص المؤمن بالدولة الدينية ويحمل الفكر الوضعي كذلك، و توماس هوبز و جان جاك روسو كانا أنموذجين من بين هؤلاء المتنورين المؤثرين انذاك.

المجتمع الوضعي هو مجتمع هادىء و معتدل، وبعيد عن امراض الدين الثقافية والنفسية، و هو مجتمع قادر على الخطو بجدار التقدم و العلوم، وبعد هذا تنامت مفاهيم حقوق الانسان و اخذت مكانا لها داخل الذهنية الجديدة للبشر، حيث بالنتيجة وفي عام ١٩٤٨ اضحت اعلاناً عالميا لا يقبل الانكار، والان يشكل هذا الأعلان جزءاً مهماً للقانون الدولي المصدق، والمجتمع الدولي من اجل صونه والمحافظة عليه يتدخل في شؤون كل الدول والمجتمعات والثقافات والاديان.

ان حقوق الانسان مرتبطة بالديمقراطية و تقدم التكنولوجيا و انتعاش المجتمع، فهو ليس بايديولوجيا بل أسس و ومبادىء لأرتقاء الانسان، فالعالم الاسلامي الى حد عام ١٩٢٠ كان يعيش في ظل الدولة الدينية، وبعد ذلك تفككت الامبراطورية العثمانية، والجزء الشيعي من العالم الاسلامي الذي كان تحت أمرة الحكم الفاجاري. هو كذلك وبفعل الضغوطات الروسية والبريطانية ضيق عليه الخناق و سقط في الاخير.

سأعيد هنا سؤالي مجدداً، كيف تأسست المنظمات الاسلامية المتطرفة؟حيث انني ذكرت هؤلاء المفكرين الاسلاميين الذين نادوا بأنبعاث و تجديد الفكر الاسلامي ابان سقوط الحكمين العثماني والقاجاري،

فهؤلاء كانوا على علاقة مع مراكز الغرب التنويرية وينادون بأصلاح الدين ايضاً كي يلتئم مجتمع المسلمين ويغدو متيناً، وكانوا في خطابهم هذا يهدفون الى تخليص الشرق الاسلامي من الضائقة التي تعرض اليه جراء احتلال المستعمرين، كذلك الارتقاء بالمجتمع الاسلامي الى درجة المنافسة مع الدول الغربية، تلك الدول التي كانت في نظرهم الند القديم لدين الشرق الاسلامي، ومن هؤلاء المفكرين واصحاب الفكر المشهورين جلال الدين الافغاني والشيخ محمد عبدة و اية الله نائيني، وكان لهؤلاء اتباع و مؤيدون كثيرون ويمثلون الجيل الأول للأصلاحيين في الشرق المسلم، و هؤلاء المتنورون كانوا في مشكلة مع سلطة الاستعمار و كذلك مع الحكومات الهزيلة المحلية في آن واحد.

فجلال الدين الافغاني الذي كان شيعياً و ذو جذور أيرانية، الا انه في آرائه كان يرتقي فوق كلا المذهبين و يعود الى النقاط المشتركة بينهما والتي تشكل جوهرالدين الاسلامي _ جلال الدين الافغاني كان انتقائياً في تفكيره و يحاول ان يهيء ارضية مناسبة لتوجهاته، كي تزول المشاكل في النتيجة بين الشيعي والسنة، ومن ثم يبدأ هو عملية التنوير والأصلاح على المذهبين معاً في آن واحد، وفي هذا المجال كان يريد ان يؤدي دور لوثر او كالفين وأقصد بهما العالمان الدينيان اللذان ابتدعا المذهب البروتستانتي في الغرب و اصبحا طليعة للأصلاح.

الأصلاح الديني في اوربا فتح الباب على الأصلاح الاجتماعي ومرحلة الحداثة بدأت بتراجع الدين وابتعاده عن عمل الدولة، و لوثر لم يكن منهمكاً فقط بالعمل التنويري، بل قبل اخيراً بتبني اسلوب استخدام السلاح، منهياً بذلك حكم الفاتيكان، حيث احتلت معابدها و تعاليمها المقدسة الصارمة. وأوقف العمل بها.

انفصل الشيخ محمد عبدة في أواخر حياته عن جلال الدين الأفغاني، و ذلك بسبب الأختلاف في وجهتي نظريهما حول الاصلاح والتجديد، لأن محمد عبدة كان مع التنوير الدائم ويؤيد الجوانب الحسنة للفكر الغربي، اما جلال الدين الافغاني فكان يلتمس اسلوب العنف اكثر، وهؤلاء كانوا الجيل الأول لأصحاب الفكر المسلمين الذين نظروا الى الدين كايديولوجيا. في العقد الأول من القرن العشرين والى العقد الثالث منه، الذي كان فترة صمت بالنسبة الى الفكر الاسلامي، وفي تلك الفترة انتصرت ثورة اكتوبر واصبح الفكر الشيوعي سنداً لحركات شعوب الشرق التحررية، وأتخذ لينين من مناصرة ودعم الشعوب الراضخة المستعبدة مبدأً جديداً للآيديولوجيا الشيوعية.

في تلك الفترة تأسست الدولة الوهابية في السعودية على انقاض الحكم العثماني، وكان للوهابية رد فعل عنيف ازاء تلك التقاليد واشكال الحكم التي ابتدعها سلاطي العثمانيين من غير العرب، وفي ذات الوقت كانوا يكنون عداءً كبيراً للدين اليهودي والذهب الشيعي.

فالوهابيون كانوا يعدون الشيعة بأنهم امتداد للثقافة الزرادشتية و يرونهم كشعوبيين كفرة ذو بدعة، وبأنهم يقفون بالضد من العرفان والتصوف، الوهابية والشيعة كانتا على طرفي نقيض، فالشيعة كانت تؤمن كثيراً بالتقديس و الوصف وتمجيد الشخوص و تهتم ببناء المراقد الكبيرة و تغالي في وصف ائمتها و اتباع مراجعها، والوهابيون بدورهم يعدون كل هذا شركاً وعبادة للأوثان.

ان حرب الوهابية ضد المناطق الشيعية في جنون العراق لها تأريخ عريق، وها هي اليوم تعيد نفسها في عراق ما بعد صدام حسين.

وفي العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، فرض المستعمرون أنموذج الدولة الحديثة على الدول الناشئة حديثا واحدثوا تغييرات كبيرة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية. حيث لم يكن التراجع عنها امراً سهلاً، وكمثال على ذلك فتحوا الطرق وبنوا الجسور، ففي كوردستان مدوا السكك الحديدة و أوصلوها الى كركوك و الموصل لانهم كانوا ينوون استخراج النفط، كذلك فتحوا طريقي هاملتن و خسروي نظراً لحاجتهم الماسة الى اسواق ايران و العلاقة معها، مثلما ربطوا الهند بأنفسهم من خلال مد السكك الحديدية، لأنهم كانوا يريدون حمايتها.

وكل الدوائر والبنوك التي كان المستعمرون يبنونها. كانت تدمر من قبل الثوار الوطنيين، وكان هذا ثقافة مجابهة الحداثة ولكن بعباءة الثورية، فالثوري المناهض للمستعمر كان له الحق ان يطالب بالاستقلال، لكنه لم يكن قد رأى البنك والبريد و المدرسة والمظاهر الاخرى الجديدة للحداثة، ولم يكن يعلم ماهو انتاجها، وبما انه لم يعهد هذه الاشياء لذا كان يقدم على تخريبها، ولكن الجيل الجديد للحركات التحررية سرعان ما اخذ بالجوانب الايجابية للفكر الغربي جاعلاً من الديموقراطية شعاراً له، والنموذج الامثل لهذه الحالة هو كوردستان.

و بعد العقد الثالث من القرن العشرين ظهرت فئة سياسية مختلفة تقف بالضد من كل عمليات التغيير و التقدم داعية إلى العودة الى الامارة الاسلامية و تنظيم ادارة المجتمع عن طريق الشريعة، ولهذا بادرت بالانسحاب وأدارت ظهرها للحركة التحررية، وحسن البنا و سيد قطب كانا الابرز من بين الجيل الثاني لحملة الفكر المتطرف الاسلامي المعاصر بعد جلال الدين الافغاني، فهؤلاء كانوا يرجعون مباشرة الى مبادىء صدر الاسلام، وفي سفر عودتهم هذا كانوا يقفون عند محطة الوهابية، لماذا؟

والسـر يكمن في ان الوهابيـة في تلك الاثناء كـانت تحكم دولة مليـئـة كاسعويدة، وبعد ان حافظت على الاسرة الملكية والمجتمع السعودي من التغير، دأبت للسيطرة على جوارها.

اما خطوتها الاخرى فكانت تصديراً للايديولوجيا الوهابية الى خارجها، وفي ذلك الاثناء توحد المتطرفون من الجيل الثاني مع الوهابيين الاغنياء، وبعـملهم هذا حـصلوا على مـصـدر مـالي و نموذج فـعلي مطبق لايديولوجيـتـهم، وبهذا تم تقديم المجـتمع السعودي كبديل عن التجـربة العثمانية الة المنظمات الاسلامية، حيث ظهرت من بين هؤلاء جركة الاخوا، واني تطرقت اليها في الفصول القادمة من كتابي هذا.

المنظمات الأسلامية وخاصة التي كانت مرتبطة بالاخوان، انشقت منها جماعات متطرفة اخرى معتقدة بأن هذه المنظمات تساوم على مبادئها و تشغل نفسها كثيراً بعمل الدعوة، في حين كانت الفتاوى وأجتهادات تعتبر تجاوزاً صارخاً على النصوص المقدسة للأسلام كالعمليات الانتحارية وقتل المدنين العزل في النزاعات، فالغزو موجود في الاسلام لكن الانتحار وقتل الابرياء حرام.

من احدى سمات الجيل الثالث هي الرفض المطلق لكل ظاهرة جديدة ومتقدمة، لأنهم لا يقبلون بالحوار والاصلاح، وبهذا يقفون بالضد من مباديء الجيلين الأول والثاني، وخاصيتهم الثانية هي الافتاء والاجتهاد لكن بالأتجاه المعكوس و نحو الوراء، واي من الاجيال الثلاثة كان رد فعل لواقع زمانه، كذلك يظهر مدى اختلاط المجتمع المسلم مع العالم الخارجي.

فـالأخـوان وبالرغم من حـمـاية انفـسـهم من بطش المتطرفين، لكنهم يستخدمونهم في الوقت المناسب وكأن المتطرفين يمثلون الجناح العسكري

لهم و يغدقون عليهم المال ويظهرونهم كصغار الذئاب لتخويف و ترويع الاحزاب الدينوية، واذا اتخذنا كوردستان كأنموذج، يمكننا تناول العلاقة بين الاتحاد الاسلامي و الجماعة وانصار الاسلام.

في ايامنا هذه يعيش جناحان اسلاميان بجوار بعضهما في تضاد، وهما الاخوان و القاعدة، فالقاعدة منشغلة بالحرب والقتال، بينما الاخوان يفكرون في المستقبل، وفي بعض المجتمعات.

ان اضطروا يتخذون استعداداتهم للأصلاح وتركيا واحدة من نماذج الاخوان، فهؤلاء ان آمنوا بفصل الدين عن الدولة، انذاك وعن اضطرار يقبلون بالجوانب الاخرى للنظام الديمقراطي في المجال الاجتماعي، واقصد بها الحريات الفردية، وهذا سير في ذلك الطريق الذي قطعته الاحزاب الديمقراطية المسيحية في الغرب.

وفي الشطر الشيعي للعالم الاسلامي، يعد محمد خاتمي أنموذجا اصلاحيا على خطى اردوغان و عبدالله غول في تركيا، وبهذا المعنى من الممكن ان يعيش الفرد باخلاق اسلامي في مجتمع مدني دون ان يقف عائقاً امام أناس مدنيين يخالفونه.

الجزء الثاني

العلاقة بين الدين و السياسة

قبل الخوض في الحديث عن المنظمات السياسية الاسلامية داخل كوردستان، يجب علينا ان نكون قد فهمنا ارائها و توجهاتها، وعند البحث يجب تناول مسألة الدين بدقة كي لا يحصل سوء فهم.

الدين يؤمن به المجتمع برمته، وعلى مر تأريخ قوامه الف واربعمئة وأثنان و عشرون عاماً، عاش آباؤنا و أجدادنا على هذه القناعة، ونحن كذلك كبرنا في مناخ ثقافي احتل فيه هذا الدين المساحة الاوسع لأسس التربية العائلية و الاجتماعية، ثقافة واحدة تجمعنا مع هذه الحركات الاسلامية؟ هل اننا على خطأ وهم على صوب ام ان تأويلهم لدور الدين في هذا الزمن قد اخطأ؟

كل معتقد ظهر في فترة معينة من التاريخ الانساني، كان استجابة لمطلب معين و أوكل اليه مهام اجتماعية و معرفية لذا كان في خدمة التقدم، والدين كذلك ظهر كحاجة في مرحلة تأريخية ضارية في القدم واحتل زمنا مديداً من تاريخ الانسان، و فسرت به الظواهر الطبيعية وكيفية العلاقات الاجتماعية، وهنا لا اقصد مناقشة مسألة ظهور الدين، ولا انوي وراء كل هذا ان اثبت بأن من الممكن الاستغناء عن الدين، لأنه ليس بأمكاننا العثور على ملة دون دين في هذه المرحلة، واي وطن لم يضمن قدراً من التقدم في الحياة افراده اذا استغنى عن الدين بالمرة

وتركه جانباً، ومن ثم فكر في بديل آخر علمي، كذلك لا توجد ملة في الدنيا تستطيع ان تعيش حياة طبيعية لو فرضنا انه سلب منها دينها، وخاصة الشعوب التي في مستوى مجتمعنا من مرحلة تقدمها، مع الاخذ بنظر الاعتبار بأن الشعوب الأكثر تقدما في العالم ايضاً لم تترك دينها جانباً، و قصدي من هذا الحديث لا يتعلق بجذور الدين، نحن لانسأل أن يوجد الدين او لا يوجد الدين او، يكون او لا يكون؟ لأن هذه القضية في الأساس لا يمكن معالجتها بالسؤال والقرار، فالدين في حياة شعبنا الان قد امتزج بالثقافة الرئيسية التي تتربى به، و قسم كبير من المعتقدات الاجتماعية و الفلسفية والاخلاقية و التكوينات النفسية للفرد والمجتمع احتله الدين الاسلامي.

ومن جانب اخر، مثلما لوجود امتنا تأريخ هكذا فأن الدين الاسلامي ايضاً له تأريخ، اذاً ليس بأمكان الدين ان يبعد نفسه عن تأثير الانسان والنظم السياسية والاجتماعية التي ظهرت في التأريخ، كذلك لا يستطيع الخروج عن دائرة التأثير للسلطات التي مرت بمنطقتنا وأضافت معتقدات جديدة الى الدين وفق قناعاتها، وهنا اريد ان اقول بأن الظاهر الموجودة الان تحت اسم مدرسة الاسلام السياسي، هي من احدى الظواهر التي كانت موجودة على مر تاريخ الاسلام وعلى اشكال مختلفة، و قبلها ظهرت مدارس اخرى مختلفة حاولت ان تشد الفكر الديني في مكانه اكثر صلابة، والى جانبها كانت هناك مدارس اخرى حاولت احداث التغيير في المفاهيم الفلسفية والسياسية و الاجتماعية للاسلام.

وحصل ان تفاقمت المشكلة الى مستوى لتقوم امارات جزء كبير من العالم الاسلامي بمهاجمة مدينة هي الاكثر قداسة لدى المسلمين (مكة) وتحتلها وتقابل وتقتل فيها بكل ما اوتيت من قوة و تحدث تغييراً في اماكنها

المقدسة، و كمثال على هذا هجوم الامويين والعباسيين والقرامطة والوهابيين وفي ثلاث مراحل تأريخية مختلفة يثبت كلامي هذا اذاً الصراع على تأويل المفاهيم الدينية في منطقتنا ظاهرة ليست جديدة، بل لهذا الصراع سابقة تاريخيـة، النصوص المقدسة في دين الاسلام التي هي القرآن وأحاديث النبي، هي نصوص ثابتة بقيت على حالها كما هي على طول التاريخ، و جوهر الصراع كان على كيفية تاويل هذه المفاهيم وتفسيرها.

نحن نعيش في مرحلة، التاويل فيها اكثر اتساعاً من ذي قبل وحين اتكلم، نشهد تلك التجارب، واي نظام سياسي لم يستطع تغيير هذه المفاهيم، اذا علينا ان نصل الى هذه القناعة بأن ديننا له قواعد ثابتة ونحن في مبادئنا نكن له الاحترام، فاذا اراد الانسان ان يحتال على الاسس الثابتة للدين الاسلامي بتغييرها او محوها لهو عين المغالطة، لكننا وكجميع الدول المتقدمة في العالم، من الممكن ان يكون لنا تفسيراً منسجماً لدور الدين في هذه المرحلة.

وفي كلامي اسالف، ان مفهوم الثبات والركود لنصوص الدين المقدسة له معنى، والذين يريدون توسيع تفسيراتها التي تطغي على اسس الدين الثابتة. هم بهذا يعرضون انفسهم للتطرف والانعزال.

فالتغييرات على شكل حكم الدولة الاسلامية بدأت في عهد النبي نفسة والى يومنا هذا، من الخلفاء الراشدين، الامويين والعباسيين والى شروع مناطق في ايران و افريقيا للانسلاخ عن الامبراطورية الاسلامية حيث انفصال هذه المناطق لم يكن بعيد عن نوع من الاجتهاد الديني، و وصولاً الى الامبراطورية العثمانية و الصفوية والحكم القاجاري، و من ثم بعد سقوط الامبراطورية العثمناية و نشوء تلك الدول المسماة حالياً بالعالم الاسلامي، فتلك نماذج متلفة للسلطة السياسية الاسلامية، ومن الممكن

القول بأن هذا يمثل التؤلات للحكم السياسي في منطقتنا حيث يشكل الدين الاسلامي اساسه العقائدي، واقصد بهذه المنطقة القسم الاعظم من اسيا و جزء اخر من افريقيا، بالاضافة الى مساحة صغرة من اوربا، وفي اعتقادي كان هذا الصراع بين ثوابت الدين و متغيرات السلطة السياسية، حيث في هذه المنطقة كان الصراع دائماً بين هذين المفهومين، والذي لا يمكن انكاره بأن هذا الصراع في عهد الخلفاء الراشدين كان اشد من المراحل الاخرى للتاريخ الاسلامي و و صل الامر لديهم بأن يقتلوا بعضهم بعضا.

فبعد الراشدين، فتك الامويون بمن بقى من عائلة النبي و ابادوهم عن بكرة ابيهم، و فعل العباسيون ذات الشيء تجاه الامويين، وكمثال على هذا، لا يملك اي خليفة من الامويين قبراً، حيث قام العباسيون بأخراج جثث الموتى من عائلة الامويين واحرقوها، وكان ذلك بقرار سياسي، والذين قدموا على هذه الأعمال انما كانوا خلفاء المسلمين، حيث كانت ائمة كالشافعي والحنبلي و الحنفي في ظل خلفاء كهؤلاء يضعون الشريعة.

وعدا هذا، فان السلاطين كانوا يفرقون بين الائمة كذلك، والامويون كمثال كانوا يدعمون الامام الشافعي، لانه كان عربياً متعصباً وخاصة في صياغة الشرع وتفسير النصوص، لكن الامام ابو حنيفة لم يكن عربياً لذا تعرض للبطش والتعذيب من قبلهم، والفتاوي الشرعية لهؤلاء الأئمة كانت نتيجة ذلك الصراع والمكون لمذاهب الدين الاسلامي.

في بداية تطور الدين الاسلامي ظهرت مدرستان: الأولى رأت بأن الاوامر الثابتة (النصوص المقدسة) يجب ان تبقى كما هي، لكن مع اعطاء حرية التفسير للانسان ضمن سياق السلطة السياسية والاجتماعية، وهؤلاء سميوا بمجددي صدر الاسلام والذين سلكوا طريق العنف بعد ذلك. والخوارج (دعاة الاختلاف _ المتمردون) كانوا جزءاً منهم، وفي

عـهـدهم ظـهـر التطرف وبدأ بالنسـبـة الى التـأويل في الدين الاسـلامي ومستـمر ليومنا هذا. فـدعاة الاختـلاف متى مـا تسنى لهم كانوا يقتلون خلفاء الاسلام تلو الاخر بالخناجر، كذلك المعتزلة اولوا اهتماماً متزايداً بالتأويل الانساني داخل نصوص الدين.

وبعد ذلك جـاء القرامطة، وظهـرت لديهم ايضـاً عـدة مـدارس للتفـسـير، حيث تحولت كل منها إلى جماعة متطرفة، والاسماعيليون كانوا من اشد المتطرفين الذين جاءوا بعد المعتزلة و دام نهجهم لعدة قرون، حيث بلغت ذروة التطرف لديهم و وصلت الى (حـسن الصبـاح) الذي كان يعـيش في قلعـة الموت بأيران، و قـتل الكثـيـر من حـملة الفكر من المسلمين من قـبل اتباعه بالخناجر.

والمدرسـة الثـانيـة هي المذهب السني، والسنة بالمعنى الذي هو مـوجـود الان، حيث في كل الاحوال ترى بوجود الرجوع الى تعاليم واوامر صدر الاسلام الثابتة، اي الرجوع الى سلف هذا الدين الذي يتـجسد في ايات القـران واحـاديث النبي، وهـذا الرجـوع انمـا يرتبط بمـزاج ذلك الشـخص الذي يعيش في عصره و ظروفه الخـاصة، كذلك بكيـفيـة رجوعه الى الدين وتفسير ثوابتة الموجودة داخل اسس الأسلام وتعاليمه.

التفسير في الدين الاسـلامي في جميع المراحل وفي ظل الامبراطوريات قاطبة كان موازيا ومتناغماً مع مصالح السلطة انذاك، والدليل على كلامي هذا، ان الدين الاسـلامي في زمن حكم الخلفـاء الراشـدين، كـان الدين نفسه في عهد الخلافة الاموية، وفي الفتوحات ايضاً كان الدين يسود زمن العباسيين والعثمانيين، والدين نفسه كان موجودا ايام الاستعمار وتصدع الامبراطورية العثمـانية و التغيرات التي حصلت في ايران، والصـفويون كذلك كانوا يحملون هذا من العراق ولبنان والخليج على جميع انحاء ايران

وجزء من العراق ولبنان والخليج.

اذاً في اية مرحلة طرأت تغييرات على السلطة، بذلت محاولات لاظهار نوع من الاحترام لأوامر و تعاليم الاسلام الثابتة، ولكن في جانب اخر، كان التفسير يتم ليصب في مصلحة السلطة الحاكمة لتلك الفترة الشعور القومي في الشرق لايملك تأريخاً طويلاً، وبداية برز في اوربا كظاهرة لمرحلة الرأسمالية، وفي نهاية القرن التاسع عشر وفي ظل الأستعمار الرأسمالي، ظهر الشعور هذا في منطقة الشرق وبشكله الجديد، وقبل ذلك التأريخ، كانت منطقتنا برمتها رعية سلطان واحد كبير يسمى بسلطان الاسلام، لذا فأن الشعور القومي ليس فقط لدى الكورد، بل لم يكن موجودا حتى عند قوميات اخرى مثل الفرس والاتراك و العرب ايضاً، والملاحظ في تك الفترات، كانت المذاهب والحروب والتقاسم هي السائدة بين الملوك والأمراء الذين كانوا يتعاظمون حكماً شيئاً فشئاً، الى ان يصبح بعضهم سلاطين، وفي الشرق عندما ظهر المفهوم القومي نتيجة لتغيرات الاستعمار القسرية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية، تفككت الامبراطورية العثمانية، والامبراطورية الصفوية لم تعد موجودة وكذلك القاجارية طالها التصدع، وبدأت مرحلة شعرت معها كل قومية بوجودها.

الدين الاسلامي كان دائماً يؤيد السلطة السياسية الكبيرة (الامبراطورية)، لكن عندما بدأ الشعور القومي بالظهور، حصلت قطيعة بين الشعور القومي وبين الدين، والظاهر كان الوعي الديني هو السائد في منطقتنا، ولهذا عندما كان السلطان يقدم على ازالة امارة البابانيين او يقتل حاكم مقاطعة في البلقان و يضع اخراً في مكانه، لم يكن الكورد او البوسنيون يبدون اية معارضة و استياء، لأن الشعور القومي لم يكن موجوداً انذاك وعندما ظهر الشعور القومي الى الوجود، لم يلق هذا

الشعور الجديد تأييداً من اية سلطة دينية.

واذا رجعنا الى ثقافة الدين، سوف لن نجد شيئاً فيها بأسم المصلحة القومية، وعمق الفكر الديني دائماً مع تلك الجغرافية التي يكون فيها هو المسيطر، ولهذا نرى بأن اي مفكر ديني لا يرضى بأطار قوميته، والشخص الذي يرى بأن الدين يجب ان يكون اساساً لأدارة المجتمع والسلطة السياسية، عليه ان يعلم بأن ذي الفكر الديني يتخطى الاطار القومي بفكره الواسع، وأطار قوميته لايتسع له، وكذلك ان الفكر القومي ليس بالكسوة الجيدة و المستحية للأشخاص الذين يعتقدون بأن الدين يجب ان يكون قاعدة لتسيير امور الوطن. وهذا الركود والتزمن (الدوغما) الذي تحمله أوامر الدين، في جانيه الفكري لا ينسجم بتاتاً مع حرية تفكير الانسان، ولهذا على مر تأريخ الاسلام الالف وأربع مائة واثنين وعشرين عاماً، اي مثقف او عالم اتخذ جانب الفكر، نراه قد تعرض للقمع وغالبيتهم قتلوا.

ان الصراع بين حرية التفكير على كافة الصعد (السياسي، الاجتماعي، الفلسفي و ...الخ) وبين المفاهم الثابتة للفكر الديني والتي على منوالها صيغت السلطة، كان صراعاً متضاداً و من النوع الدموي، ونجد هنا في هذا المجال، بأن الظلم قد طال حتى الذين يتبعون مذاهب السنة، لماذا يسود الشقاق هذه لمذاهب الأربعة السائدة في العالم الاسلامي ياترى؟

نحن في منطقتنا ندين بالمذهب الشافعي، وهذا راجع الى تعاون الشافعي مع تلك السلطة السياسية التي حكمت في منطقتنا انذاك، فلماذا لا نؤمن بالوهابية ومكة في ايديهم؟ لان اسرة السعود واجدادهم كان لهم اجتهادهم الخاص تجاه الاسلام ولكل في المملكة العربية السعودية رضوا به، ونحن كذلك راضون بما لدينا، ولكن ماالذي في التفسير فرقنا عن بعض؟ اقوله بكل قناعة انه السلطة السياسية.

اصحاب الفكر في العالم الاسلامي والى بداية القرن العشرين وماتبعه كلهم كانوا شخصيات دينية.لانه لم يكن هناك اي مجال اخر لتحصيل العلوم سوى المساجد والتكايا، وفي هذا الشأن يعتبر ذلك الخلاف أكبر بين مفهوم حرية الانسان للتعبير عن مستجدات عصره وبين الراي السياسي والاجتماعي السائد والذي مصدره يرجع الى الدين، يعتبر هذا الخلاف مشكلة من مشاكل تأريخنا، هذا موضوع محل البحث، ق يكون مسألة حرية الانسان في العهد الاموي والعباسي لم يكن بذلك المطلب الملح، مع هذا نرى بأن عالماً كبيراً كمولان الورمي يتحدث في جميع كتاباته عن حرية الانسان وعذاباته، واذا نظرنا الى حافظ الشيرازي، المتنبي، ابي علاء المعري وناصر خسرو... الخ، نرى بأنهم كانوا مثقفوا ومفكروا عصرهم.

ووجود المرأة في المنظور الديني كان منذ بدايات التاريخ الاسلامي والى اليوم مسالة صعبة ومعقدة الغاية، ولهذا عندنا ناتي الى موضوع حرية الأنسان والتقدم الاجتماعي و الديمقراطي، من احدى المشاكل التي تعترضنا هي: بانه اذا اخذنا اليوم بمفاهيم الدين للسلطة السياسية، سوف لن نتمكن من احداث اي تقدم و نصف المجتمع يغدوا معزولاً.

فالتسامح مفهوم انساني و عبارة عم محاولة الانسان لحماية الاختلافات والفوارق العرقية و الاثنية والدينية، وعندما قدم الدين الاسلامي الى منطقتنا، بقيت مجموعة من الاقليات الدينية، حيث ظهر التسامح وتقبل الاخر آنذاك، وهذا المفهوم يرجع لتلك السلطات التي كانت محلية أكثر و قبلت بمذاهب مختلفة، ولأجل حماية مصلحة المكونات في هذه المنطقة فكرت بالتعايش، وهذا المفهوم تنامى الى ان وصل إلى كوردستان اليوم، حيث يعيش الايزدي، المسيحي والمسلم معاً، وهنا يظهر

بأن التسامح هو مفهوم انساني وليس بمفهوم ديني، ولهذا ان مجال السلطة والتوجه الاجتماعي في التاريخ الاسلامي تسنى لهما فرصة التفسير رويدا رويداً، ومتى ما جاءت هذه التفسيرات مبكراً كما استمدت قدسية اكثر، وتكاد ان تستقر شيئاً فشيئاً خلف صفوف القران والسنة مفاهيم اخرى كالتسامح و تقبل الاخر واحترام الاديان وهذه العملية تتضمن محاولة الانسان لتثبيت تلك التوجهات الجديدة التي لا تتعارض مع الدين وهي ليست بتعاليم دينية ان العملية هذه قد بدأت متاخرة، لكنها والى الان حافظت على معانيها، والتسامح الان في منطقتنا مفهوم في طور النقاش، حيث يجب الاهتمام به اكثر وألا يفسر على معنى يمحي معه الاديان الاخرى. ففي ايران يوجد حوار واسع بأسم التعددية الدينية والتي هي مستمدة من مفهوم التسامح، ومن احدى الخصوصيات الايجابية في المذهب الشيعي هي انهم يسمحون لانفسهم بالنقاش والحوار مع عدم المساس بالمفاهيم الثابتة.

وهذا الأمر ليس بمقبول لدى السنة، عبدالكريم سروشت الذي هو من احد اصحاب الفكر الشيعيين، يتوجه بقوله الى المجموعة من مسشاري محمدخاتمي: المسيحية دين سماوي تطور في نطقة معينة، وقبلها كانت اليهودية ومن ثم جاء الاسلام، وكذلك الاديان الاخرى والتي هي ليست سماوية (البوذية والشيتو والزرادشتية...الخ) ما دامت انها سبيل لمعرفة وعبادة الله، لماذا يجب النظر اليها كونها صغيرة؟ هذا الحوار موجود الآن في ايران، فمؤيدو خاتمي ينوون تفسير هذا بأن المجتمع المدني بات ينظر الى المعتقدات الدينية المختلفة بأحترام، وهذا الشيء يعد من المحرمات في كافة مناطق العالم الاسلامي باستثناءايران، بالطبع عدا تركيا ايضا حيث تم فيها فصل الدين عن السياسة.

وهناك تأويل اخر للدين كمصدر للسلطة السياسية في الاسلام وهو التصوف، وهذا المنظور كان يعمل بمنأى عن تعاليم الشريعة لكن مع الابقاء على الايمان بالله، والصراع الذي كان موجوداً في العالم الاسلامي بين الناس المثقفين و ذوي الفكر من اهل الدين، دفع بقسم من هؤلاء المتنورين من الناس كي يفكروا مباشرة في العلاقة التي هي بينهم وبين الله دون الاستعانة بالكلام والشريعة والتفسير، ومن المعروف ان تأريخ فكر التصوف يرجع الى فترة ماقبل الاسلام، ولكن هذا ليس من صلب بحثي لذا لا اتطرق اليه.

فالتصوف لم يقدر ان يتوسع كثيراً لكنه خلف وراء تأثيراً عميقاً، لم يستطع ان يحول الديار الى صوفي لكنه ترك تأثيراً فكرياً على المثقف والسياسي وأصحاب السلطة والناس، وعلى وجه الخصوص في مجال الادب كان تأثيره واضحاً وجلياً، فكل الشعراء والذين كتبوا نثراً جميلاً كانوا متصوفين، وكانوا في صراع دائم مع جانب الشريعة من الدين الاسلامي، وكان نتيجة هذا في كثير من الاحيان ينتهي بقتل المتصوفة، وعلى سبيل المثال. عين القضاة الهمداني الذي كان من كبار المتصوفين في العالم الاسلامي قتل بقرار شرعي وتم سلخ جلده وملؤه بالتين وعلقوه على باب تكيته كي يكون عبرة للمتصوفين الاخرين، اذاً الصراع في الاسلام لم يكن مرناً، بل كان عنيفاً وعلى اشده، وهنا لا اريد ان استعرض المعلومات فقط، لكنني اريد ان اقول أن الحركات السياسية الاسلامية في يومنا هذا لديها جذور في هذا المفهوم والثقافة، ولهذا ان اردنا فهم اشكال السلوك لهذه الحركات، يجب علينا ان نفهم بجد تأريخ تلك الافكار التي لها تأثير على الحركات الاسلامية اليوم.

ظهور العلمانية في مواجهة الفكر الديني

قلت أن الدين مكون واسع للمعرفة الانسانية، وفي التأريخ ظهر في زمن عندما تمكن الانسان ان ينفصل عن دنيا الحيوانات، حيث حاول ان يفهم العالم ويكيف علاقاته الاجتماعية، وبهذا المنظور يغدو الدين ظاهرة انسانية، كذلك تطرقنا الى ان الدين في وقته قد اكتسب القدسية، وكل المعتقدات والأشياء المقدسة انما لها حالة منغلقة ولاتطرأ عليها التغير بسهولة، والتعاليم في كل الاديان منذ ظهورها والى اليوم بقيت على حالها كما هي ولا يتم احداث التغيير عليها، فهذه خاصية من خصوصيات الدين، لذا عندما نأتي الى الدين و نريد ان نتطرف اليه، يجب ان نضع هذا نصب اعيننا بأنه نظام معرفي مقدس، والمقدسات انما ثابتة. وكلامي هذا لا يعني بأن الاديان لا تتعرض للتغيير او الزوال، ففي مراحل التأريخ الانساني عندما كانت لااديان تبدأ بالظهور، برزت اديان كثيرة ومن ثم اضمحلت بالقوة او اندمجت في اديان اخرى، وكمثال و بأستثناء الأديان البدائية التي استمرت بقاياها الى القرون الوسطى في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وأستراليا، ظهر الدين المسيحي كأستمرارية للدين اليهودي، ولهذا فأن المسيحية ترى كتاب اليهودية المقدس (التوراة) وكأنه الجزء القديم لكتابهم المقدس و دمجوه مع الأنجيل، وكذلك العلاقة بين البوذية والهندوسية والكونفوشيوسية والشنتوية في جنوب شرق اسيا هي من هذا القبيل، ومثالنا الاخير هو التقارب الذي بين الدين الاسلامي والسيخ في بنجاب، ولهذا فأن الأديان بالرغم من قدسيتها، لكن بما انها نظام ضمن تكوين المجتمعات، وبما ان للمجتمع وجود حي ينمو و ويتطور ويطرأ عليه التغيير، لذا فهذا المنطق يشمل الدين ايضاً.

ويجب ان نعلم أن الدين يعتبر من احد اقسام المجتمع الاكثر ثباتاً

وأستعصاءً ولا يتغير بسهولة، لذا بمقدوره العبور من مرحلة الى مرحلة اخرى من مراحل المجتمع، فالدين يرضخ مراحل المجتمع ان تساوم وتخضع له، وبطء تطور العلم وتأخر المعرفة العلمية لدى افراد المجتمع، كذلك تخلف النظام التربوي للمجتمع والحكومة قد أمد الدين هذه المقدرة.

واليوم في كوردستان يلقى التسامح بين القومية والدين اهتماماً متزايداً، والتسامح هو ذلك الاعتقاد الذي اضافته المجاميع البشرية الى المفاهيم المقدسة للدين و الصقته بها كجزء مكمل لها، بغية سيرورة تقدم الحياة في المجتمع الانساني، لذا فكل مباديء التسامح في البداية بدأت بصراع مع المقدسات الدينية، ولكن بصراع مرن و في النهاية غدت مكملة للتعاليم الدينية، مثلما يوضع القانون الا انه ومع تطور حياة المجتمع وتغيير الظروف، لا يستجب لمتطلبات المجتمع و لا يتغير، لذا يرون الحل في وضع مكمل لذلك القانون، والتسامح كذلك ماهو الا مكمل صريح التعاليم الدين المقدسة.

الفلسفة الجديدة في منظور ايامنا هذه، حيث مرحلة بدء التكنولوجيا، كانت منذ بدايتها والى اليوم عبارة عن تعريف المجتمع مجدداً بكل تكويناته كي ينفتح الباب امام تقدم الانسان و المجتمع معاً، والصراع بين الفلسفة الجديدة والفكر الديني هو عملية مستمرة والى اليوم، وتمت معالجة هذا الصراع في اوربا و امريكا بطريقة جعله مصدراً للقانون دون المساس بالدين، وخصص لهذا مكاناً في النظام اللبرالي ليبقى الدين كظاهرة اجتماعية مقدسة ويحظى بالاحترام ويؤخذ بنظر الاعتبار في القوانين والمفاهيم و العلاقات الاجتماعية، بمعنى ان اي قانون جديد وتوصية جديدة لن يكتب له البقاء اذا تعرض للدين، وهذا ماينظم النقطة الاخيرة للعلاقة بين الدين والسلطة القانونية في النظام اللبرالي، اذاً يبقى الجانب المقدس للدين كما هو.

واذا سألنا كيف دخل الفكر والفلسفة الجديدة الى المجتمع التقليدي الديني في الشرق النائم؟ في الحقيقة ان الاستعمار جلب معه التكنولوجيا والفكر الجديد واشكال النشر والتوعية الخاصة به (الماسونية) فهذه العناصر مهما كانت ايجابية في جوهرها، الا انها في عين الوقت كانت دوراً مهماً لجلب ونشر الفكر الجديد، حيث اتوا بمجموعة من المبادىء التي لازمت ملامح الحضارة والحياة الجديدتين، وأسسوا مجموعة من النوادي (مجالس) وبدأوا يطرحون فيها مسائل تخص التغيير الاجتماعي و المفاهيم الفكرية الجديدة ولا سيما الجانب السياسي منها، كذلك كانوا يروجون بأنه من الممكن للمثقفين (وفق منظور ذلك الوقت) ان يعلموا بهدوء بموازاة السلطة كي يوثروا في الاشخاص المتنفذين داخل الدول، والى جانب هذا ان يهتموا بتربية اولئك الذين يعبرون الاهتمام بالفكر داخل المجتمع، فهم كانوا يجمعون مؤيديهم في مكان يسمونه بمجلس الماسونيين، حيث كان لهم مراسيم خاصة بهم من قبيل اداء القسم وكتم الاسرار و....الخ وعمل مثقفي الشرق بدأ بشكله الجديد مع ظهور ونشاطات الماسونيين، فأذا نظرنا الى ايران وتعاظم دور العثمانيين بصورة عامة والعالم العربي خاصة، نلاحظ بأن مثقفي غالبية هذه الامكنة قد ظهروا في الوقت الذي وصلت اليهم الماسونية وبدأت بنشاطاتها، وهذا لا يعني بأن المثقفين لم يكن لهم وجود في الشرق قبل قدوم الماسونية، كلا، فالشعراء والكتاب والرحالة واشخاص ذوي خبرة و درامية في امجالات الاجتماعية والدينية كانوا موجودين، لكن ايا منهم ونظراً للواقع الاجتماعي والاقتصادي والديني في الشرق، لم يكن بأمكانهم تجاوز اطار السلطة المطلقة للدين، حيث كان الشرق آنذاك فما يخص هذا المجال يعيش في أزمة عميقة من التخلف.

والسلطة الاستعمارية حين وصلت إلى هذه المنطقة، استخدمت القوة العسكرية في بعض المناطق، في اماكن اخرى بالأتفاق مع سلطات هذه المناطق وفي اماكن اخرى بالأعتماد على التكنولوجيا بدأت تبذل كل ما بوسعها من اجل هدف واحد وهو السيطرة على المراكز والمصادر الاقتصادية للشرق، وهذا الاحكام كي يدوم لفترة طويلة، كان يستوجب وجود عوامل مساندة كي تستطيع حماية وضمانة استمراريتها، ولهذا كان لابد للأستعمار ان يستفيد من القوى العاملة في هذه المناطق، ولكي يضمن لنفسه قوى عاملة مؤهلة ورخيصة، كان عليه ان يبدأ بنشر افكار جديدة ونشر الافكار الجديدة كان في مصلحتهم (الاستعمار).

وهذان السببان: التنوير مصلحة الاستعمار، لم يلق القبول هكذا وبسهولة من لدن الشعوب الراضخة تحت نير الضغوط في المنطقة، اي قدوم قوة محتلة لها دين اخر وانت سلطة اجنبية تسطو على المصادر الاقتصادية، وهذه السياسة كانت تظهر الجانب السلبي للأستعمار اكثر وضوحاً. اما الجانب الاخر الذي كان عبارة عن الاتيان بالتكنولوجيا مثل السكك الحديدية، شركات استخراج النفط والمعادن، ومن ثم ظهور الطبقة العاملة وشرائح الموظفين و نشوء ادارات عصرية، كلها كانت مظاهر اجتماعية جديدة برزت مع قدوم الاستعمار، وكذلك فتح النوافذ بوجه الناس في الشرق كي يتوجهوا الى اوروبا والدراسة في الغرب، الاطلاع على العالم الجديد و الحضارة و رؤية الديموقراطية وفهم حقوق الانسان والتطور الاقتصادي، وكيفية معالجة العلاقة بين الدين والسلطة حيث فصلا عن بعضهما، كل هذه اثرت كثيراً على الشرق الغافي، والرحيل الاول من المتنورين الذين اعتبروا هذه التطورات كانجازات حسنة، كانوا يعتقدون بأن الخطوة الاولى يجب ان تبدأ بأحراج سلطة الاستعمار من

الشرق ومن ثم يتبعها التقدم في الدرجة الثانية.

وقسم اخر من المتنورين والذين كانوا يشكلون الأغلبيته و وقعوا تماماً تحت تأثير اوروبا، كانوا يرون بأنه يجب ربط مصالح الشرق بالمصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وحتى الدينية للأستعمار، وعلى سبيل المثال، ان بعضاً من مثقفي ايران في فرنسا وبريطانيا و روسيا قد تركوا دينهم واصبحوا مسيحيين والى جانب هذا الجيل الجديد من المثقفين، برز جيل آخر من المثقفين المنادين بالأصالة والمحلية، وهؤلاء كانوا يدعون الى احداث التغير على واقعهم الاجتماعي والديني كي يكون بمقدورهم التحدي لهذا العدو (الاستعمار) الذي يستبدبهم في عقر دارهم، ومن ثم دحر تلك السلطة السياسية المحلية المتنمتة التي كانت تضيق خناقهم.

هؤلاء المتنورون الاصلاء كانوا يشعرون بالدونية حينما يرون التخلف يسود الشرق الاسلاي لهذه الدرجة، ومع ان دينهم كان حديث العهد مقارنة بالدين المسيحي، يقارنون اوروبا ذلك العهد مع القرون الوسطى حينما كان الشرق المسلم من الناحية الفكرية و الصناعية اكثر تقدماً من اوروبا، فلماذا وفي غمضة عين بعد القرون الوسطى يتعرض الى هكذا تخلف؟ كل هذا كان يجب ان يتم بحثه، لكن ذلك التساؤل بقي الى اليوم.

السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبدة كانوا من اولئك الذين يعتبرون رواداً لمتنوري الشرق، وقبلهم في ايران الشيعية كانت هنالك محاولات تنويرية لكنها لم ترق الى التكامل الذي كان لدى مدرسة الافغاني، فهؤلاء كانوا على اختلاط مع مجلس الماسونيين، وفي نفس الوقت كانوا ينشرون افكاراً مناهضة للاستعمار و تعاملهم مع سلطة المحتل كان بقصد الاطلاع اكثر على واقع تلك السلطة، فالسيد جمال الدين الافغاني و محمد عبدة كانا يعتقدان جهراً و علانية بأنه وعلى الرغم

من قدسية الدين الاسلامي، الا انه يجب احداث التغيير عليه من حيث التوجه السياسي وادارة السلطة، وكانا يريان بوجود اجراء نوع من التعديل على الدين من خلال الفقة كي يفتح مجال امام نشاط الانسان ويتسنى للانسان المسلم المساهمة في عملية التطوير الاقتصادي و تسيير البلاد، ولكي يغدو حراً حتى يدفع بالفلسفة الاسلامية على نحو من التقدم يكون بمقدوره احداث التغيير عليها، وليكون في مقدور المسلم ان يقول للأوروبي المسيحي: الى جانب فلسفتكم الجديدة، نحن ايضاً لدينا فلسفة اخرى ضاربة الجذور في التاريخ وهي فلسفة الشرق الاسلامي.

ففي المراكز المؤثرة للشرق (مصر–لبنان–الشام –اسطنبول و طهران)، ظهر من بين هؤلاء المثقفين جيل، بعضهم كانوا يؤلفون الكتب و يصدرون الصحف وبدأوا بالترجمة من اللغات الاوربية ونقلوا قوانينهم وافكارهم الى لغتهم، وعدد كبير منهم بعد ذلك اصحبوا رؤساء جمهوريات و وزراء وموظفون كبار، ومنهم من اصحبوا سياسيين متطرفين و كذلك ارهابيين معروفين حتى، فعلى سبيل المثال جمال الدين الافغاني نفسه، عندما سئم من ايران و ناصر الدين شاه القاجاري (١٨٢٨ – ١٨٩٤)، أمر ميرزا رضا الكرماني بيقتل ناصر الدين شاه، حيث قتل ناصرالدين شاه على يد ميرزا في مزار الشاه عبد العظيم جنوب طهران، عندما سئل ميرزا رضا في التحقيق اجاب قائلاً: قتلته بأمر من جمال الدين الافغاني وانا فخور بذلك.

كان اغتيال ناصر الدين شاه حدثاً جديداً وكيفياً في التأريخ الجديد للفكر السياسي الشرقي، واذا لم اكن مخطئاً ان هذا العمل تجاه السلطة السياسية في الشرق المسلم وبعد قرون من تطرف الخوارج والأسماعيليين الألموتيين، يعد اول ارهاب ذو شكل سياسي جديد للأسلاميين.

سبق وان اشرت الى الجوانب الحسنة للأستعمار، وقبلها كنت قد ذكرت

مساوئه، وكل هذا يحتاج الى المزيد من النقاش و الحوار، لكنني اتناوله على مضض، والشيء الذين لا يمكن انكاره هو ان الفكر الديني خلق مجابهة بوج الاستعمار، ومن جانب اخر ان الفكر الغربي وكذلك التيار الفكري الداخلي الجديد الذي كان يدعو الى التغيير داخل المجتمع الاسلامي، الى جانب معاداته للأستعمار، ابعد جبهته عن الدين، وتأريخ العثمانيين من بداية القرن التاسع عشر والى البرع الاول من القرن العشرين شاهد على هذا الصراع، حيث كان هذا الصراع موجوداً في ايران ايضاً، الى ان شارك علماء الدين الشيعة جنباً الى جنب مع دعاة الديموقراطية في القيادة السياسية لثورة مشروطة (دسترة السلطة).

اما في كوردستان فالحال كان على شكل آخر، فبعد منتصف القرن التاسع عشر، كانت علامات الحركة القومية بقيادة الشيخ عبيدالله النهري تبدأ بالظهور رويدا رويدا، اذا في وطننا المحتل والممزق ايضاً بدأت الحركة التحررية على يد المثقفين الدينيين من دعاة التجديد.

كان الشيخ عبيدالله النهري شخصية كارزماتيكية و صاحب خانقاه كبير للتصوف النقشبندي، حيث فكر في التحرر القومي وارادان يفصل كوردستان عن الامبراطوريتين العثمانية السنية والقاجارية الشيعية، وبعد ذلك تأسيس كيان للكورد بأية تسمية كانت، ولا اعتقد بأن الفكر القومي انذاك كان يرتقي على ماكان عليه في الربع الأول من القرن العشرين، وهذا شئنا ام ابينا كان نوعاً من الثقافة الدينية الجديدة في وطننا. وعلى هذا يعتبر الشيخ عبيداللة النهري المؤسس للفكر القومي الكوردي وفي نفس الوقت كان متصوفا وشاعراً كبيراً في عصره كذلك كان استاذاً دينياً وقطباً عارفا كبيراً، وكل هذه الصفات بمجملها قد اجتمعت في شخصية الشيخ عبيدالله النهري، لذلك نرى الشيخ عبيدالله يأتمن شاعراً

شفافاً مثل وفايي ويجعله قريباً مقرباً لديه.

وبعد هذه المرحلة، كل قيادات الحركة التحررية الكوردستانية كانوا مثقفون دينيون، بدءاً من الشيخ عبدالسلام البارزاني والى الشيخ سعيد بيران و الشيخ محمود والقاضي محمد والبارزاني الخالد، كل واحد من هؤلاء كان مثقفاً دينياً وترأس النضال التحرري الكوردستاني في مرحلة تأريخية معينة، وبأعتقادي يجب تسمية هؤلاء القيادات بالمتنورين الدينيين القوميين، فهؤلاء ليسوا بملالي و وشيوخ اصحاب فتاوى دينية مطلقة، ولو كانوا كذلك، لما سلكوا الفكر القومي و تمردوا على الامبراطورية العثمانية، فلا تغب عن بالنا تلك الحقيقة التي سبق وان تحدثنا عنها، وهي ان الدين لا علاقة له بالقومية، لان دائرة الجغرافيا الانسانية لقواعد الدين اكثر سعة من حدود القومية، سأذكر مثالاً صغيراً على هذه المسألة، وهو قضية اسامة بن لادن فهذا الرجل رغم كل الجرائم التي ارتكبها، لا يتجرأ عالم دين في كوردستان ليقول بصريح العبارة: هذا رجل قاتل للأنسان ولاتربطه اية صلة بالاسلام، لماذا علماء كوردستان على موقف كهذا؟ انه معلوم، لأن بن لادن وفقاً لقواعد الدين لا يعتبر مجرماً، وهذا السبب يدفعنا الا نرجع الى القواعد الدينية في كل مسالة قومية و شأن يخص ادارة السلطة السياسية.

ففي الصراع الذي كان بين الاستعمار و المعارضة الداخلية لم تستطع الامبراطوريات الدينية في الشرق الصمود حتى النهاية، لذلك تفككت، فالامبراطورية العثمانية في ظل ضربات الصراعات الداخلية والدولية، كانت في هزات وقلاقل دامت قرناً كاملاً، ونتيجتها ان تهدمت بفعل ضربات العامل الخارجي والخلافات الداخلية، وهذا الذي هيأ ارضية لنهوض قومي متطرف تروكي (على وزن عروبي – المترجم) ظهر بعد زوال

الامبراطورية، لماذا لم تكن الامبراطورية العثمانية مبعث فخر لدى تركيا الفتاة؟ لأنها كانت امبراطورية دينية، وكذلك القوميون الكماليون والى الأن لا يفتخرون بها، فهؤلاء اعتقدوا بأن العثمانية في النتيجة لم تأت بأي مكسب للأتراك، فأجزاءً واسعة من ادينا كانت في قبضة الاتراك ايام الامبراطورية، وإن لم يكن لديهم لغة متقدمة، فثقافات الشعوب الاخرى كانت تتقدم في ظل الحكم العثماني وتتطور، لكن الاتراك العثمانيين كانوا على حالهم هكذا، لذلك بعد سقوط الامبراطورية بدأوا بتكملة اللغة ونظام سلطة الترك، وهذا ما خلق لدى الكماليين قناعة خاطئة ليقوموا على عجل بحماية هذه الحدود الجغرافية الصغيرة المسماة اليوم بتركيا.

وايران ايضاً في عهد القاجاريين كانت سلطة دينية، وفي بعض الاحيان كان باشوات القاجار يقعون تحت تأثير اتجاهات غير دينية ويختلطون قليلاً مع الماسوينين، ولكن الكلمة الاخيرة كانت لعلماء الدين الشيعة (آية الله)، والباشا (قبلة العالم) لم يكن بمقدوره الخروج عن فتاويهم، واستمرت الخالة هذه الى بدايات القرن العشرين حيث تفكك هذا النظام مع اندلاع ثورة المشروطة.

وبهذا لم يستطع العالم الاسلامي ان يصمد بوجه حركة التجديد و الهجمات الاحتلالية للاستعمار، فعندما قدم الفكر والتكنولوجيا الجديدان الى منطقتنا، لم تستطع السلطة الدينية للصفويين والقاجاريين والعثمانيين الذين كانوا يمثلون الشيعة والسنة في العالم الاسلامي، لم تستطع ان تقدم اي بديل، وأبدت المقاومة فقط بوجه النظام السياسي الجديد والتغيرات الاجتماعية، والان السؤال هو: هؤلاء كانوا يملكون السلطة العسكرية والسياسية، فلماذا لم يكن بأمكانهم طرح بديل؟ وللأجابة يجب على القول: لأن الدين في الحقيقة، وفي اي مجتمع معاصر، لم يكن بمقدوره ان يغدو

أنموذجاً ناجحاً لنظام سياسي جيد، وهذا لايعني الحط من قدر الدين و تصغيره، لأن وظيفة الدين ليست تنظيم السلطة السياسية وادارة المجتمع، وان بدأ الدين الاسلامي بتأسيس السلطة الدينية العربية، لكن تأريخه يظهر بأنه تعرض في عقده الاول الى أزمات و تشرذم وتوجهات مختلفة، اي انه لم يخرج سالماً في المرحلة الاولى، وكذلك الحال بالنسبة الى المسيحية ايضاً، فحكام اوروبا في القرون الوسطن اينما تواجدوا كانوا يرون انفسهم خاصغين للبابا، والكنيسة كانت تتدخل في كل صغيره وكبيرة لفكر و خيال وشكل حياة الناس، واليوم يطلقون على تلك الفترة بالعهود المظلمة، لذلك فمن البديهي جداً اذا قلنا بأن هذه التجارب دلائل صادقة و من غير الممكن ابداً جمع الدين مع السلطة وخلطهما معاً.

وعلى سبيل الاشارة اقول، بأنه جرت محاولات اكثر في المذهب الشيعي لأجل تحديث المنظور الديني، وعندما اقول المنظور الديني او النظرة الدينية، فأنني لا اقصد النصوص المقدسة، بل اعني الفقة والتأويل، واكثر التيارات الشيعية انفتاحاً هو تيار الشيخ بهاءالدين.

حيث تابعوه والى اليوم يعرفون بالبهائية، فهؤلاء كانوا جناحاً فقهياً متصوفاً لم يلقوا القبول داخل المجتمع الاسلامي الشيعي، حيث اضطهدوا في ايران وجاءوا الى النجف وكربلاء والقدس، اي تم تهجيرهم الى داخل حدود الامبراطورية السنية العثمانية، وأحتراب الشيعة والسنة حادثة تأريخية قديمة، حيث العثمانيين و الصفويين كانا دائماً في صراع مرير ويكفران احدهما الاخر، والبهائيون قبلوا مكهرهين بأن يطيعوا العثمانيين، وفي الاخير قامت السلطات العثمانية بترحيلهم الى الاناضول وبعثرتهم هناك، والى الان هم موجودون في اوروبا كأقلية، وبعد ثورة المشروطة في ايران واتتهم فرصة الحياة ثانية، لكنهم بعد انتصار الثورة

الاسلامية الايرانية تعرضوا للقمع والقتل الجماعي مجدداً.

بعض من علماء الدين الشيعة (اية الله) قدموا على اجتهادات جديدة في زمن ثورة المشروطة، وأحدهم كان (اية الله نائيني) حيث اصدر فتوى وقال: اي شخص يقف بالضد من الديموقراطية انما هو ضد الدين، والدين عندنا عبارة عن النظام الاجتماعي الذي يأتي نتيجة لثورة المشروطة، والى جانب هذا ظهر اية الله اخر (الشيخ فضل الله نوري) وأفتى قائلا: كلا على العكس تماماً، يجب ان يكون هناك المشريعة (النظام الديني) بدلاً عن المشروطة (النظام البرلماني)، وأي شخص يؤمن بالديمقراطية فهو يعادي الله.

والصراع بين علماء الدين في عهد المشروطة وصل بهم الى الحد الذي اعدموا الشيخ فضل الله نوري وسط طهران ونتيجة الصراع هذا داخل المجتمع الايراني كان الانتصار والغلبة لتيار شيخ فضل الله اي انتصار النظام الديني (الشريعة) ولست المشروطة.

لذا يجب ان نتسائل، لماذا النصر كان من حليف تيار الشيخ فضل الله ياترى؟ فالتحقيق والبحث الواقعي يوصلنا الى تلك القناعة، بأن تياره داخل الفكر الديني كان طاغياً ومسيطراً، لذلك استطاع في النهاية ان يكون منبع الفقة لمجابهة التجديد، فالنظرة الانسجامية اية الله نائيبي في المذهب الشيعي كانت تشبه محاولات اشخاص كمثل جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبيدة السني حيث كانا يعتقدان بوجوب فتح باب التحديث في المنظور الديني، ولهذا كانت الحركة القومية لدينا نحن المسلمون دائماً في أزمة، واستمرت الحالة هذه الى العام (١٩٩٢) كذلك الى السنوات العشرة الاخيرة وكمثال على هذا، كانت غالبية الحركات السياسية تلجأ الى الفكر الشيوعي لكن مطالبها كانت قومية، وبعض الاتجاهات

السياسية لجأت الى الفكر اليبرالي لتلقي الدم من الغرب او للأختلاط اكثر بالماسونيين وضمان معاونة بريطانيا و فرنسا، لكن مطالبها في الجوهر كانت قومية ايضاً، وقلة قليلة من القيادات السياسية كانت خليطاً من كل هذه الافكار، كأشخاص مثل جمال عبدالناصر.

ونحن في كوردستان لم يكن لدينا حكومة كي يظهر اتجاهنا القومي ويستقرعلى شكل، فبالرغم من تأسيس الحركة القومية الكوردية على يد مثقفين دينيين، الا ان الحركة هذه لم تخلط من تعاليم الشريعة بشكل صارم.

دولة، وعداه ليس هنالك منطق يبرر عدم وقوعنا في مشاكل اصابت العالم الاسلامي برمته. فالشيخ عبيدالله النهري لم يتسن له سوى ان يحارب هنا و ينسحب هناك، وسلطته لم تكف كي يحسم أمره _ لذا لا يحق لنا اليوم ان نقول لماذا لم يظهر نفسه هل هو ديني اكثر ام قومي، فالذي حصل انه عبر عن زمن على قدر الوجود القومي لنا انذاك، و وجودنا القومي في ذلك الوقت لم يكن سلطة سياسية بل كان مقاومة فقط. والافكار عادة لا تظهر يوضوع اثناء المواجهة والدفا ع ولا يمكن التمييز بينها، ومن جانب اخر لماذا هناك حديث حول الشيخ محمود الخالد؟ يرجع ذلك الى وقوع سلطة محدودة في يده لفترة وجيزة و دخل صراعاً حول ما اذا كانت الاوامر تصدر وفقاً للشريعة او خارج الشريعة او بصورة مختلفة، ولكنه غادر الحياة دون ان يتمكن من معالجة هذه المسألة. اما الباحثون فيكيلون له العتب حتى الان يأنه لم يستطع ان يستفيد من الصراعات الموجودة في ذلك الوقت مع ملاحظات اخرى كثيرة، وبأعتقادي كل هذا راجع الى واقع معين، وهو ان سلطة الشيخ محمود كانت في منطقة صغيرة المساحة، وتعرض مبكراً الى تلك الصراعات الفكرية والاجتاعية.

اما تجربة جمهورية كوردستان فهي جديرة بالملاحظة والوقوف عندها، ذلك لأن القاضي محمد الذي كان رجل دين، كان في عين الوقت لديه افكاراً تحررية وساند الديمقراطيين والشيوعيين على حد سواء، الا ان سلطته لم تدم طويلاً حتى يتبين لنا ماذا ماذا كان في جعبته ازاء القضايا الاجتماعية، ودائماً في الشرق لم تكن هناك نظرة مشتركة تجتمع عليها مكونات الجبهة القومية من احزاب وشخصيات قادت تلك الحركات، لذلك كانت دائماً تهتم بعضها البعض، وعلى سبيل المثال نرى العرب من امثال بورقيبة وجمال عبدالناصر والسوريون كانوا يتهمون بعضهم بأستمرار.

وكانت لدينا نحن الكورد ايضاً مجموعة من القيادات السياسية داخل الحركة التحررية الكوردستانية، حيث كانوا في خلاف دائم مع بعضهم البعض نظراً لعدم وجود نظرة مشتركة تجمعهم، لكن من المحتمل الان أن حدث تغيير على واقع و اراء الحركة السياسية وحلول خطوط مشتركة واراء عصرية محل الايديولوجيات المقدسة، وماهو معلوم الان، ان العالم متفق على نظرة مشتركة، حيث من غير الممكن مقارنة هذه المرحلة مع كان عليه العالم قبل عشر سنوات، وارى انه من الضروري اجراء مقارنة بين ظهور الحركة القومية التحررية الكوردستانية وقدوم ايديولوجيات الغرب الى الشرق الاسلامي، واذا تذكرنا كان هناك تأريخاً دام زهاء الالف عام من الصراع الديني بين الشرق الاسلامي والغرب المسيحي، والشرقيون منذ البداية تولدت لديهم هذه الحساسية، حيث امتزج الفكر الشيوعي مع الفكر القومي الاخذ بالبزوغ، وبعد ذلك تسلل الفكر اللبرالي الى المنطقة واستقبل بحفاوة بالغة، وكان ذلك راجعاً الى دعم ومساندة الماركسية لمسألة تقرير المصير للشعوب واهتمامها الخاص بالعدالة الاجتماعية، وكلتا القاعدتين كانتا تخطيان بالتعاطف من لدن ثقافة الشرق، وعلى الرغم من مضامين

العدالة الانسانية التي كانت تنادي بها الشيوعية، الا ان تطرف حركاتها وتأييدها لمصالح الدولة السوفيتية، وكذلك بسبب الماهية الدكتاتورية للسلطة الشيوعية، هذه كلها غدت سبباً مغلياً لعدم تمكن الشيوعيين من ان يصبحوا بديلاً جيداً للحركة القومية والاجتماعية في الشرق.

دور الايديولوجيات الشيوعية والرأسمالية والاسلام السياسي في حركات الشرق التحررية

ان الحركات التحررية تصدت للاستعمار لكنها لم تستطع ان تدحره، لأن الاستعمار بالأضافة الى ما كان يملكه من قوة عسكرية وتكنلوجية، كان منفذاً جديداً تدخل منه هبوب الضغط على المجتمع التقليدي الشرقي المنغلق، حيث في النهاية تفككت الامبراطوريات الاسلامية وانفتح المجال امام البدائل الاخرى، التي كانت عبارة عن الايديولوجيتن معاً كانتا نتاج وثمرة المجتمع الغربي الاوروبي، وعلى المستوى المحلي ظهر شكل جديد للأيديولوجيا الاسلامية (اي فكر اسلامي في شكل صارم).

الاستعمار احتل الشرق ، لكنه واجه ظرفاً لم يستطع التعامل معه بواقعية، كذلك لم يقدر ان يأتي بنظام سياسي ملائم ينهي به صمود وممانعة الشرقيين، وكان مؤداه ان تظهر الحركات التحررية الوطنية كواقع جديد في فترة وجيزة جداً، وكمثال عندما خرج العراق من سيطرة العثمانيين و قع بيد البريطانيين، الا انه بقى فترة قصيرة تحت حكم الانتداب المباشر، لأن انتفاضة الجماهير زلزلت الارض من تحت اقدام الانكليز.

العراق كان ولاية للأمبراطورية العثمانية، وفي تلك الفترة لم تستطع ان تضمن شعوراً وطنياً مشتركاً للعراقيين، ولكن عندما سميت هذه الرقعة من دنيا الاسلام بالعراق، لم تمض سنوات وظهرت في كوردستان

وعربستان معاً، حركة واسعة ضد الاستعمار، حيث اخذت في شطره العربستاني طابعاً دينياً قومياً، بينما في كوردستان كان الطابع القومي هو الغالب، وبعد مرور سنوات عدة (اي بعد العشرينات) تخللها عنصر الفكر الشيوعي، هكذا نشأ العراق الجديد والذي يحترق منذ مايربو على الثمانين عاماً في اتون هذه الصراعات.

والحركة التحررية الوطنية بدأت في هذه الدولة الجديدة مع نشوء العراق، حيث دخل مفهوم الهوية الثقافية والقومية الى واقع تكوين ذلك المجتمع ذو الطيفين الذي تأسس العراق عليه، فالمثقفون والشخصيات الدينية الى جانب الشعارات الدينية، ادخلوا الشعارات القومية والاستقلال الوطني وطرد المحتل الى مرحلة المناهضة الجديدة، وهي المرحلة الثورية ضد الاحتلال الاجنبي، وهذا المحتل (الاستعمار) الى جانب كونه غريباً من حيث الدين والثقافة، كان منغلقاً وفي خلاف كبير وغير متوافق: فهو من جانب كان يحمل معه التكنولوجيا والفكر الجديدين ويفتح الباب كي يطلع متعلموا الشرق على عالم الغرب الجديد، ومن جانب اخر كان ينهب ثروات هذه المنطقة، فهو للمحافظة على مصالحه كان مستعداً للمساومة مع اية ظاهرة قبيحة غير مستحبة في المجتمع، وهذا المشروع المتناقض للاستعمار خلق استياء ومعارضة واسعة جداً حيث الى جانب الدينيين شارك فيها القوميون ايضاً.

بدا الاستعمار مشاريع استخراج النفط و المعادن الاخرى اتسعت الموانىء وارتبطت المدن عن طريق شبكة من الطرق والسكك الحديدية، وبهذا غداً النظام الاداري الحكومي اكثر سعة وعصرية، هذه العناصر الجديدة غيرت التكوين الاجتماعي وعصرية، هذه العناصر الجديدة غيرت التكوين الاجتماعي العراقي وأدخلته في مرحلة جديدة، فبعد بناء المعامل

والشركات و ظهور الطبقة العاملة و موظفو ادارات الدولة، انفصلت الطبقات والفئات المختلفة للمجتمع عن بعضها و دخلت منطقتنا مرحلة اقتصادية جديدة، وفتح الطريق اما ايديولوجيا أخرى اجتماعية، حيث دخلت تحت اسم العدالة الاجتماعية الى داخل الحركة التحررية الوطنية، وتلك الايديولوجيا كانت الماركسية. الفكر الماركسي بدأ يأتيس فى الشرق بشكله البدائي الغربي، فقبل ثورة اكتوبر الروسية لم تستطع الشيوعية ان تضمن لنفسها موطىء قدم في الشرق، ونظريات لينين حول معالجة القضايا القومية غدت جزءاً رئيسياً لمبادىء الحركات التحررية، ولينين بأبداعة ذاك احدث تغييراً على الفكر الماركسي، فهو ادخل نظرية حق الشعوب في تقريرالمصير الى الايديولوجيا الماركسية وكان يعتقد أن الشيوعية لتحقيق العدالة الاجتماعية لا تستطيع ان تخطو خطوة واحدة ان لم تعالج قضايا الشعوب، ولينين كان يرى في الاستعمار سلطة الرأسمالية ومستقبلها، حيث كان يعتبره شكلاً جديداً لقمع الشعوب بيد الطبقة البرجوازية، ولهذا كان يقول بأن الكفاح ضد الطبقة البرجوازية لا يكتمل الا بتحالف نضال الحركات التحررية الوطنية طبيعياً مع البروليتاريا، والا عن طريق عزل هذه الحركات وابعادها عن الجبهة البرجوازية وتخندقها مع الجبهة المناهضة للرأسمالية بقيادة الشيوعيين، وكان يعتقد بأن القومية الراضخة تقاسي الظلم والجور، والعدالة الاجتماعية لا يمكن ان تحققان إذا لم تنهى الاستبداد القومي وفي هذا كان يستشهد بمسألة الايرلنديين مع بريطانيا وكذلك قضايا الشعوب داخل الامبراطورية الروسية، فكان يربط هذا الاستغلال الطبقي ويقول: من المحال بأستطاعة الاشتراكيين و الشيوعيين التقرب من اهدافهم طالما يبقى الاستبداد القومي كجزء من الاستغلال الطبقي.

وهذا الاحـتـرام والمناصـرة والتنظيـر الذي ابداه لينين وكـذلك دعم الحركات التحررية الوطنية من قبل الشيوعيين و دولة عظيمة مثل الاتحاد السوفيتي التي كان شعارها يا عمال وشعوب العالم المضطهدة اتحدوا، كان له الاثر الكبير على الشعور القومي لشعوب الشرق واستطاع ان يجذب اناساً كثيرين حوله، وعى المستوى الفكري ايضاً دخل الى مبادىء الحركات التحررية الوطنية، ولدى بعض الحركات التحررية القومية في الشرق، امتزجا معاً الفكر الشيوعي والقومي، وهذا ما أدى الى تراجع الفكر السياسي الديني، لان الاديان لم تكن لديها اية حلول مقترحة سوى مجابهة الاخر الذي يحمل ديناً مغايراً والرجوع الى الماضي، حيث كانت دوماً تريد ان تسترجع وتضع حلماً جميلاً من زمن الامبراطوريات الاسلامية، حيث كان لثلاث قوميات مسيطرة في الشرق وجود فيها، و بشكل رئيسي العرب ومن بعدهم الاتراك والفرس.

فبمنى عن الشرق المسلم، أن شعوباً أخرى في اجزاء واسعة من اسيا اغير المسلمة كمنغوليا و فيتنام وكوريا والصين قامت بمزج استقلالها مع الايديولوجيا الشيوعية.

وفي وطننا المحتل، امتزج الفكر القومي الى درجة في بدايات القرتن المنصرم مع الفكر الشيوعي، لكن لم يمتزج الفكر الشيوعي تماماً مع الحركة القومية، وكذلك الفكر القومي ايضاً لم يسلم نفسه للفكر الشيوعي تماماً، وكان لهذا الميل والتنافر اسبابه، وخلق ازمة عميقة داخل الحركة التحررية القومية، وهذه الازمة ظهرت في تلك الشعارات التي كان يحملها الفكر الشيوعي بخصوص مناصرة حق الشعوب في تقرير المصير، بينما في جانب آخر كان ذلك الفكر يتبنى رؤية وتوجها شوفينياً _ الحادياً منحازاً للقومية المسيطرة، وهذا بداية خلق اشكالية لدى الحركات

التحررية الوطنية في ارشق، حيث كانت هذه الحركات تحتضن تيارات دينية وليبرالية وشيوعية، وكانت دائماً في صراع مع بعضها البعض، واذا كانت المصلحة القومية هي الطاغية على الحركات السياسية في بعض الدول، كانوا يأتون ليتركوا الخلافات الايديولوجية جانباً ويقدموا المصالح الوطنية والسياسية، كانوا يشكلون جبهة، ومن هنا بدأ مفهوم الجبهة الوطنية بالظهور في الشرق، والذي كان تحالفا سياسيا موقتاً كي تتمكن كل التيارات المختلفة المشاركة في الحركة التحررية الوطنية.

والاسلاميون انسحبوا مبكراً من الحركات التحررية، وهذا الموقف كان راجعاً الى قصر نظر لدى اصحاب الفكر الأسلاميين، وانسحاب اصحاب الفكر الاسيلاميين من الحركات التحررية الوطنية ادى الى تعاظم موقع الديمقراطيين والشيوعيين، وهذا ما دفع بالمثقفين القوميين ان يبحثوا عن توجهات وآراء اكثر انفتاحاً من اجل معالجة المشاكل والقضايا الاجتماعية وقضية المرأة والقضية القومية وبديل النظام السياسي، وفي البداية لم تكن الاحزاب تملك اي برنامج يذكر وكذلك لم يكن في منطقتنها قد ظهر انذلك شكلاً حزبياً حتى، وعندما انسحب الاسلاميون، قدم الشيوعيون ومعهم برنامجهم، وكان لديهم أعلاج الفكري لكل هذه المشاريع، لذلك نرى بأن المثقفين القوميين بالتوجه السياسي والاقتصادي وحقوق الانسان وعلى وجه الخصوص حقوق الشبيبة والمرأة.

في تلك الفترة كان هناك الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى، ومن ثم نشأت في جواره مجموعة من الدول الشيوعية بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، هذه الدول سميت بالقطب الشرقي، وبالمقابل قامت اوروبا وآمريكا ببناء القطب الغربي.

ان ظهور القطبين الشرقي والغربي ادى الى طغيان مصالح هذين

القطبين على المصالح الاخرى لذلك لم يكن بأمكان اية حركة تحررية وطنية أن تحصل لنفسها على مناصر وتستمر، مالم تضمن لها مكاناً ومع هاتين الجبهتين. وبأعتقادي ان الخطأ الاكبر الذي وقع فيه الفكر الليبرالي بقيادة الغرب هو دعمه اللامشروط للأنظمة التي كانت تمثل بقايا الاستعمار و وريثة له في مواجهة المد الشيوعي، وهذا الموقف الذي بدر من الغرب كان صائباً وخاطئاً في عين الوقت، وصوابه كان في هذا: ان دولة مهما كانت متخلفة و دكتاتورية، اذا اجبرت على الاخذ بالتغيير والاصلاح، هذه التغيرات تدريجياً ستؤدي على المدى البعيد الى انهاء السلطة المتزمتة والدكتاتورية وتحويلها الى سلطة مرنة و مستحبة، فهذا توجه صائب، لكن من جانب اخر ان هجوم الشيوعيين بقيادة الاتحاد السوفيتي ادخل مفهوم الانقلابات العسكرية الى الحياة السياسية: فعندما كانت تتداخل الحركة القومية مع الايديولوجية الشيوعية، كان ينتشر ذلك بين الجيش، وترى فجأة مجموعة من الضباط يجتمعون وينفذون انقلاباً على النظام السياسي، حينما كان الغرب يريدان يجري ذلك بشكل هادىء دون جلبة.

ولرفض مشروع الشيوعيين، كان الغرب يعمل جاهداً لحماية تلك الانطمة التي كانت تمثل بقايا الاستعمار، كذلك فرضوا اشكالاً و اساليب معاكسة للأساليب السوفيتية، وعلى سبيل المثال عملوا على تقوية الاجهزة الامنية والعسكرية ونشروا السلاح في المنطقة، حيث ادخلوا عناصر مخابراتهم العسكرية الى الاجهزة الامنية للأنظمة السياسية في المنطقة وبدأوا بعقد معاهدات و تحالفات عسكرية مختلفة، وكان هدفهم الرئيسي من كل هذا هو حماية تلك الانظمة التي كانت في الخفاء تحافظ على مصالح القطب الغربي.

وفي الأساس، الأنظمة التي كانت توصف بأنها صنيعة الأستعمار،

كانت بالنسبة الى الغرب تعمل مع الأمر الواقع، ذلك الواقع الذي كان يقضي بالأبقاء على الأنظمة تلك، في الوقت الذي كانت تك الانظمة لاتبدي اية معاملة سريعة تجاه مطالب االحركات القومية والتحررية، وخير مثال على هذا هو النظام الملكي في العراق، فعندما اتوا بالملك فيصل و نصبوه على عرش العراق، لو لم يحدث اي تغيير على الاسس التي بني عليها ذلك النظام، لسارت هذه الدولة في اتاجه مرن وابدت اصلاحات الدائرة انذاك بين الاتحاد السوفيتي و الغرب ادى بهذا بوليسياً وتحدث صراعات داخل الجيش ايضاً، وهذا ما ادى الى النتيجة التي لاحظناها: حدوث العديد من الانقلابات و وقوع مصير الشعوب في يد مجموعة من الاشخاص لم يكن لديهم رؤية واضحة للسلطة والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للبلد.

حصلت لدى الشرقيين الثوار قناعة مفادها بأن اي نظام يسانده الغرب هو نظام رجعي لا يستطيع معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ولا يتجاوب مع الشعوب المضطهدة، لذا يجب العمل على اسقاطه، فهذه النظرة اصبحت قناعة مطلقة، وسرعان ما بدأ طغيان وأحتكار الشوعيين بالظهور داخل الحركات التحررية الوطنية، وكان الشعار السائد هو: هل انت مع الامبررريالية ام لا؟ وكان هذا السؤال معياراً لتعريف التيارات والاتجاهات السياسية والاجتماعية.

وهذه الظروف ادت الى حسم المسألة، اي بمعنى كان يجب على كل شخص تحرري ان يتخذ موقفاً مضاداً ازاء الامبريالية، دون ان يفكر في هذا الشعار و مدى ما يسدي من خدمة لمصلحة السوفيت و الشيوعية، اي ذلك القطب الذي كان (يناصر) معالجة قضايا الشعوب.

وتجربة قرن من الزمان اظهرت بالفعل بأن الشيوعية في اي مكان لم

تستطيع ان تكون مناصراً حقيقياً لاية قومية، والاتحاد السوفيتي هو المثال بعينه على هذا، حيث كان فيه عدد من الجمهوريات القومية، ولكن في الحقيقة وبعدمرور سبعين سنة ظهر بأن الاتحاد السوفيتي لم يكن سوى سجناً كبيراً للشعوب هذه.

وعندما انسحب الفكر الاسلامي من الحركات التحررية الوطنية، فأنه راى نفسه مباشرة في ظل الأنظمة الموجودة التي كان يحميها الغرب، والسبب في ذلك يرجع الى حقيقة مفادها: كل تلك الأنظمة انما كانت رجعية ولا تولي اهتماماً بالفكر الجديد، واغلب قوانينها كانت على نحو لا تتعارض ومشاعر اصحاب الفكر من الاسلاميين، واصبحت مناهضته الألحاد المهمة الرئيسة بالنسبة الى التيار الاسلامي داخل الحركات التحررية القومية، وهذا التيار اتخذ جانباً آخر، وهو عندما كانت المسألة القومية و الدينية تتقابلان، هؤلاء كانوا يعرضون غايات الدين بانها تقف بالضد من الآمال القومية والوطنية.

لذا نرى بأن الأسلاميين لم يكونوا كما الآن من حيث التنظيم النقابي والحزبي، ففي بدايات القرن العشرين كان لمير مرشد دور يضاهي دور حزب بأكمله، لأن حينذاك لم يكن هناك سوى شخصيات اسلامية، وبهذا ابتعد الاسلاميون عن الحركات التحررية الوطنية واصبحوا جزءاً من الانظمة التي استطاعت المتسلطة انذاك.

الأنظمة التي استطاعت بمساندة الغرب ان تبقى وتدوم، تمكنت من انجاز خطوات في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية وتخلف تقاليد قليلة جداً لكنها مرنة للحياة السياسية، وبما ان التعددية الحزبية لم تكن موجودة انذاك، لكن ثمة خطوات قد انجزت بهذا الصدد، فلو بقيت المنطقة كلها على ما كان عليها تلك الانظمة، لكانت الحياة السياسية تسير على

شيء من المرونة، ومن الممكن ان نستشهد بالأردن وايران الشاه والمغرب كمثال على هذا.

ففي الدول التي تمكنت فيها الحركات التحررية الوطنية مع الشيوعيين على اختلاف تلاوينها من الوصول الى السلطة، نرى بأنها لم تستطع ان تخطو خطوة واحدة على درب التقدم الاجتماعي والاقتصادي، والدول هذه كانت دائماً منشغلة بالحروب وترفع الشعارات فقط دون ان تتمكن من معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية الاساسية.

فالأنظمة المدعومة من الغرب حصل لديها تقدما أقتصادي طفيف، لكن الانظمة التي كانت مستلقة من الناحية الفصلية و يدعمها الاتحاد السوفيتي، لم يطرأ على اقتصادها اي تقدم يذكر يجعلها ان تنافس الاخرى، وكانت كل مقدراتها من الثروات ترصد لشراء السلاح والاعتدة خدمة للتكنولوجيا العسكرية.

ومنطقتنا جراء هذا الصراع تعرضت الى خسارة كبيرة لا تحصى ففي مجال التطور الاقتصادي توقفت تلك المناقشة الفكرية السياسية التي كانت قد بدأت مع بدايات قدوم الاستعمار الى المنطقة والصراع الدائر بين الحضارة الاسلامية والغربية، والانظمة هذه لم تكن لديها اي بديل اجتماعي وسياسي تستقر عليه كي لا تخسر خصوصياتها ومن ثم تخطو نحو التقدم، لكنها ابتعدت عن هذا الاتجاه و وقعت منطقتنا في صراع عسكري يغذيه احد القطبين.

مما لاشك فيه ان الاتحاد السوفيتي جعل من مسألة تحرر القوميات والعدالة الاجتماعية ذريعة لمصالحة الاقتصادية وصراعاته السياسية، حيث في كثير من الاماكن وبسهولة كان يتم التضحية بحركة قومية او

اجتماعية محقة في حال عدم تحركها لخدمة مصاح السوفيت، ومما يؤسف له، نحن الكورد كان لنا النصيب في هذا الضرر مرتين، حيث ضحى بنا قرباناً لتراجع سياياته، مرة في زمن جمهورية مهاباد، ومرة ثانية عند نهاية ثورة ايلول.

وقصدي إن كل هذا الحديث هو موقف الاسلاميين، فبعد انسحابهم من الحركة التحررية الوطنية وقفوا في صف الغرب والأنظمة التابعة له، لكن الأنظمة التي انضمت الى جبهة السوفيت غدت انظمة عسكرية، واثناء ذلك اصبحت الحرة التحررية الوطنية ضحية، لأن من الناحية الفكرية لم تحصل على فرصة سانحة تجرب فيها آراءها السياسية والاقتصادية، وكذلك من الناحية العسكرية غدت تابعة، وعندما كانت تتشكل هذه التبعية، فأن القط السوفيتي كان يقدم على انهاء هذه الحركة، بتبرير انه يجب انهاء حركة تحررية ما خدمة للمصالح الاشتراكية، وكمثال: للحركة ظرفاً صعباً ومعقداً للغاية، فالسوفيت و الشيوعيون في العراق كانوا يدعون الكورد بالدخول الى جبهة كانت في نظرهم تقمية، حتى لو لم تعترف الجبهة هذه بأي مطلب قومي الوردستان، وفي حال اختيار العكس من قبل الكورد فانهم سوف يعرضون انفسهم الى مصير آخر، وعندما ابدت الثورة الكوردية مقاومتها، نرى بأنها تعرضت الى مصير ينظر اليه كتراجيديا مأساوية في تأريخنا التحرري، حيث في عام ١٩٩٧ تعرضت جمهورية مهاباد الى الموقف والمصير نفسه، وفي ذلك الأثناء كان الفكر الأسلامي يسير رويداً للأنضمام الى اتجاه يجتمع معه في ثكنة واحدة ويستظل بذات ظله، في الوقت الذي كان الاسلاميون يقفون من موقف الضد بداية ظهور و قدوم الاستعمار، هذا من جانب، ومن جانب آخر ان الحركات التحررية نفسها اصبحت جزءاً من الرؤية الشيوعية، وكان

معاداة الدين جزءاً عملية تعبئة وتوعية الشيوعيين، ولهذا السبب لم يتمكن الفكر الشيوعي ان يكون فكراً جماهيرياص واسعاً، بل اصبح منظوراً لدى نخبة الكوادر وقيادات الحركة التحررية، وهذا ما ادى بالاسلاميين الى التقرب اكثر لجبهة الدول المحافظة والرجعية.

الفكر الاسلامي طيلة فترة الصراع بين الشرق والغرب لم يجد فرصة امامه للظهور داخل الجبهة التحررية بمنظورها السياسي، لأنه متى ماظهر في مكان ما، كان يعامل مباشرة كحركة رجعية ويقمع بأساليب عسكرية.

وفي بعض المجتمعات، فكر الشيوعيون بالمساومة مع بعض من التيارات والاتجاهات الاسلامية، لأن كثيراً من المفكرين الاسلاميين كانوا قد وقعوا تحت تأثير العدالة الاجتماعية القريبة من المنظور الاشتراكي، وفي هذا كان يرى انبعاثاً لنظرة المساواة في الدين الاسلامي كما كان في عصر العبودية، حيث كان الشيوعيون يعتقدون بأنه من الممكن ان يؤمن الانسان بالعدالة الاجتماعية ويترك مجالاً للدين كظارة مقدسة، وفي النتيجة، كل هؤلاء الذين اصبحوا حلفاءاً للنهج الاشتراكي، اما كانوا ينضمون الى الشيوعية، وآما الشيوعيون في نهاية المطاف كانوا ينقلبون عليهم و يخرجونهم من ذلك التحالف.

والحالة هذه خلقت لدى الشيوعيين توجهاً، بغية ايجاد حل لشكل السلطة، بمعنى الى ان يصلوا الى تسلم السلطة السياسية في الدولة و ينقلون الحكومة نحو الشيوعية، من الممكن ان يقبلوا بالحالة الطارئة المسمى لديهم طريق التطور اللارأسمالي و وفقاً لهذه النظرية يضعون الدولة في مرحل لاهي شيوعية و ولا بالرأسمالية، وبهذا يغدو ممكنا تهدئة الصراعات الى ادنى مستوياتها، لكن الذي حصل في نهاية الدرب

هواشتداد ذلك الصراع.

كان الاتحاد السوفيتي هو الموجه الفكري للشيوعيين الذين كانوا يقولون: في فترة طويلة كهذه، تؤدي إلى التغيرات الاجتماعية بالمفكرين الدينين الى ان يكونوا شيوعيين وان يتخلوا عن الفكر الديني، وكانت هذه القناعة نابعة عن ايمانهم بأن الايديولوجية الماركسية بفضل التكنولوجيا و التقدم الاقتصادي القادر على محو المعتقدات الدينية، والذي يبدي المقاومة يجب تصفيته وحتى الشيوعيين انفسهم عندما كانوا يصلون الى السلطة، كانوا يقترفون ضد بعضهم البعض انقلابات دموية، وتبريرهم في ذلك كان التطور الرأسمالي، وأفغانستان في عهد الشيوعيين خير مثال على هذا النهج، فعندما جاء الشيوعيون الى السلطة، في فترة ما بين (٥-٦) سنوات، نرى بأن الشيوعيين داخل قيادة الحزب الشيوعي ازاحوا بعضهم البعض ثلاث مرات عن طريق القتل والتصفية وبأعتقادي ان جذور هذا الشكل السياسي كان راجعاً الى تجمع المنظور الديني والشيوعي والقومي داخل قيادة حزب واحد، فمؤلاؤ عندام وصلوا الى السلطة، ومع وقوع الجيش في ايدييم، كانوا على عجلة من امرهم حسم الصراعات فيما بينهم بالسرعة الممكنة.

والانقلابات العسكرية في مصر وسوريا والعراق وامريكا اللاتينية وافريقيا كانت من هذا القبيل، لذلك كنت ترى حدوث انقلاب عسكري كل سنة في دولة ما، حيث كلها كانت من الناحية الفكرية عبارة عن تداخل التوجهات و نابعة عن تكدس الرؤى فوق بعضها.

كل هذا نتائج مضاضات مرحلة كانت من المفروض ان تنهي، هذه المرحلة كانت مرتبطة بالصراع الدائر بين الاتحاد السوفيتي وامريكا، وبتغير اخر بالصراع الذي كان موحوجاً بينالغرب الرأسمالي والشرق

الشيوعي، كان حكم التاريخ ان يتراجع الاتحاد السوفيتي من الناحية الاقتصادية والاجتماعية امام الغرب، وهذا لم يكن مرتبطاً بالصراع الموجودة في منطقتنا، بل كان متعلقاً بمنظور كلا النظامين حول مفهوم التطور الاقتصادي والنظام الاجتماعي والديموقراطية و شكل ادارة السلطة السياسية واشراك الناس في عملية ادارة الدولة.

فهذه النقاط كانت معياراً لتقييم الانظمة والحكم عليها من حيث كيفية تعاطيها مع هذه النقاط وكيفية اتاحتها المجال للتقدم التكنولوجي، فنحن راينا هذا الصراع وتعايشنا معه، وقبل بداية العقد الاخير من القرن العشرين حيث انتهى معه ذلك الصراع.

ظهرت مشاهد الصراع مجدداً في الشرق ايضاً، اي ان الاسلاميين لم يعودوا يلتزموا الهدوء في ظل الدول التابعة للغرب، ففي اي مكان شهد نوعاً من الانفتاح كمصر ولبنان وسوريا...الخ، بدأوا ثانية بلملمة انفسهم كي يرجعوا الى الساحة مرة اخرى وبالتحالف مع الغرب.

الأرهاب والاسلامي المتطرق

هناك سؤال: لماذا تلجأ الكثير من المنظمات الاسلامية الى العنف، على المرء ان يقف عند هذا الموضوع.

ان ظاهرة العنف في تاريخ الاسامي ظاهرة مألوفة وليست جديدة، فأذا رجعنا الى بداية الحكم الاسلامي، اي بعد النبي، لرأينا ظهور المشكل السياسية والعسكرية انذاك على نوع ادارة السلطة، هذه كانت المرحلة الاولى، حيث استخدام العنف بين جمع الصحابة بدأ حينذاك، وأغتيل من بين الخلفاء الراشدين الأربعة ثلاثة منهم (عمر، عثمان و علي) حيث قتل كل واحد منهم بطرق مختلفة، الا ان اغتيال ثلاثتهم كان لدواعي خلافات

سياسية ولم يكن مقتل اي منهم محض صدفة، فهؤلاء الخلفاء الثلاثة اغتيلوا على يد مسلمين متطرفين.

وبعد هذا، كانت هنالك دائما اجتهادات و آراء جديدة حول تفسير الشريعة الاسلامية داخل الحكم الاسلامي بغية انفتاح و عدالة اثر في المجتمع، هذا الاجتهاد اول من تبوأ به هم الخوارج ومن ثم القرامطة، وبعدهم جاء المعتزلة وصولاً الى المذهب الشيعي، حيث ظهرت بين الشيعة ايضاً تيارات متطرفة وأخرى مختلفة، وأكثرهم تطرفاً كان مرشد الأسماعيليين حسن صباح الذي كان يهدد ولاة امور العالم الاسلامي قاطبة وقتل منهم الكثير، نظام الملك كان من بين اؤلئك الذين اغتيلوا على يد فدائيي حسن صباح، وقصدي من هذا هو القول بأن الأرهاب ظاهرة قديمة، والارهاب هو اعنف اشكال الصراع او اخلاف حيث لايترك مجالاً للمقابل بأن يعيش ومن ثم ينفيه، وهذا الشكل من التضاد انما يظهر فقط بين انداد الفكر والسياسة، ولهذا هنالك فروق كثيرة بين دافع القتل بهدف التأر والانتقام او العقوبة القانونية او لدواعي مافيوية مقارنة مع الأرهاب. وهادي العلوي اهتم كثيراً بهذا الجانب والف كتباً عديمة حوله، حيث تناول الموضوع بكل دقة، وفي بحوثه هذه تطرق الى تأريخ العنف لدى حكام المسلمين بدءاً بزمن الخلافة الأموية ومروراً بالعباسية والعثمانية.

واليوم يوجد نوعان من الأرهاب، يسمى احدهما بالأرهاب الأعمى، وأعني به تلك المنظمات التي تلجاء الى القتل والترويع لمقاصد معينة سياسية او اقتصاية دينية او عرقية، والشكل الثاني يسمى بالأرهاب المنظم، اي ما تقدم عليها الدول من اعمال متطرفة ضد مواطنيها المعارضين، و وفقاً للوثائق التأريخية، كان الأرهاب المنظم موجوداً في عهود الامبراطوريات الأموية، العباسية، العثمانية وفي ظل الحكومات

الأسلامية المحلية، لأنه الى جانب وجود هذه الأمبراطوريات، كانت هنالك مناطق اسلامية منفصلة عن حكم المركز حيث لدواعي محلية كانت تغدوا حكومات مستقلة، وكمثال على هذا هو: الدولة الايوبية برئاسة صلاح الدين الأيوبي، محمد علي في مصر، الصفاريون في ايران زمن العباسيين، في المغرب، في افريقيا والشام و....الخ، وفي ظل كل منها مورس الأرهاب بشكل منظم.

سلفاً قلت بأنه في عهد سلطة الاستعمار دب خلاف داخل الامبراطوريتين العثمانية والقاجارية ، وكذلك من قبلهما الحكم الصفوي ايضاً، اسباب ذلك الخلاف الداخلي كانت ترجع الى ظهور وقدوم التكنولوجيا الجديدة، كذلك بروز طبقات اجتماعية جديدة تمارس حياة قتصادية جديدة، وتغيير الحياة المدنية وتحولها بشكلٍ اكثر تنظيماً، والدور الولي حديثاً للعامل والموظف بشكله الجديد، ظهور السكك الحديدية ودورها في تسهيل عملية النقل، وفي الوقت الذي كانت الشركات النفطية قد بدأت باستخراج النفط، فأنها على هامش مشاريعها كان لزاماً عليها استحداث وظائف وأدارات مثل البريد، الشرطة و... الخ، وأرضاء لمصالحهم السياسية والادارية كان لزاما عليها ايضاً ادخال فكرة ادارة الدولة الى الشرق رويداً رويداً، حيث قبلها لم يكن الشرق قد وصل الى مرحلة يحتاج فيها الى هذا النوع من الأدارة.

وكذلك اسلفت بأن نشاط الماسونيين في ذاته كان نوعاً من المباىء الاجتماعية والدينية الجديدة، حيث انهم رغم مسيحيتهم كانوا يكنون الاحترام للأديان الأخرى، لأنهم كانوا من الوجهة السياسية يريدون ان يحدث الاصلاح داخل الدول المستعمرة ويدخل القانون والمفاهيم المدنية واحترام حقوق الانسان الى الحياة الاجتماعية الدول الشرق بشكله

البدائي للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهؤلاء كانوا قد اسسوا مجالس وثقافية وعسكرية ومسؤولين كبار في ادارة الدولة كأعضاء من اهالي المنطقة، فأشخاص مثل جمال الدين الافغاني، الامام محمد عبدة، ناصر الدين شاه، ومثقف ايران الكبير ملكمخان وكل اولئك المثقفين الكبار الذين بعد ثورة المشروطة في ايران اصبحوا يملكون مراكز ثقافية كبيرة او غدوا وزراء، وظهر من بينهم قيادات سياسية، والبعض منهم اسسوا المرحلة الأولى لظاهرة تدشين الأحزاب بيسارها ويمينها، فكل هؤلاء كانوا اعضاء في مجلس الماسوينين، وفي تركيا ايضاً كان كمال اتاتورك وصحبه جميعاً ياسونسيين، اذاً كانت ظاهرة الماسونية والانتماء اليها ظاهرة ثقافية وسياسية، وفي ذات الوقت كانت توجهاً اممياً ولم تكن تعرقل تنامي الفكر القومي، لانها كانت ترى: من غير الممكن ان توجد ادارة جديدة في دولة ما، مالم يكن هناك شعور بوجود الهوية المحلية فمن هذا الجانب كانت الحركة التنويرية الماسونية تشجع الفكر القومي ايضاً الى جانب نشرها للفكر الأممي.

وقصدي من هذا الحديث: من هنا ظهرت فئة معينة من المثقفين الدينيين في العالم الاسلامي الذين كانوا يرون بضرورة نقل تجربة الغرب الحديثة الى دنيا الأسلام، ومن ثم اجراء عملية تحديث نظام الشرق بشكل يتلائم مع اطر الدين، لكن الأسلاميين بهذا المنظور لم يصلوا اى اية نتيجة، لهذا في النهاية لجأوا الى اسلوب آخر مخيف و كان عبارة عن العنف ايضاً، فأغتيال ناصر الدين شاه وبعضاً من وزراءه قد أشر على نهاية المرحلة الأولى من عملية نشوء الحركات الاسلامية وبداية مرحلة جديدة للعنف السياسي، حيث كانت تلك المرحلة متزامنة مع نهاية سلطة القاجاريين وتفكك الأمبراطورية العثمانية، وعندما نشأت عندنا الدول الجديدة في

الشرق وبتدخل من الدول المستعمرة كبريطانيا و روسيا وفرنسا ففي هذه الدول الجـديدة التي يرتبط وجـودها بوجـود المشـاكل ظهـر فـيـهـا الفكرالسلامي مجدداً الى جانب الفكر الشيوعي.

واذا القينا نظرة على تجربة المنظمات الاسلامية في مصر من حيث السلوك السياسي المتطرف، نرى بأنها تبدأ بتجربة حسن البنا واعوانه، فهؤلاء لجأوا ثانية وبأسلوب جديد الى تأسيس الحزب السياسي، حيث بدأوا عملاً خطيراً وجعلوا من النص القرآني المقدس سنداً لبرنامجهم السياسي و فسروا آيات القرآن على اساس ايديولوجي، وبعملهم هذا لم يبقوا على الحدود الفاصلة بين العمل السياسي و الغزو والجهاد.

الحركات التحررية الوطنية في الشرق كانت تنمو يوماً بعد يوم والفكرالقومي ايضاً كان يخطو نحو الأكتمال، والأحزاب كذلك كانت تؤسس على شكل قومي جديد، وآنذاك كانت الدول القومية قد نشأت، لكنها كانت تعاني مشاكل جمة من حيث كيفية ادارة الدولة واختيار الايديولوجيا وحماية نفسها من تدخل الاستعمار، كذلك الوقوف بوجه الفكر الشيوعي وتأثيراته، ناهيك عن عدم امتلاك هذه الدول الناشئة لتراث وثقافة ديمقراطية فيما يخص مجال الحركة السياسية والحزبية.

في خضم هذه التجاذبات الفكرية والسياسية والأدارية، كان التوجه السائر نحو العلمانية يكاد ان يكتمل ويتأسس ومقابل ذلك كان التيار الاسلامي ايضاً منهمكاً بطرح نفسه بديل الى الساحة وبشكل عنيف ومتطرف، وعندما اقول (عنيف ومتطرف) انما اقصد: حينما تؤحد آيات القرآن كبرنامج للحزب، حينئذ لايجوز لأحد ان يقف امامه وكل من يجادل فيه يعد كافراً، وعقوبة المرتد انما هي القتل، اذاً هنا لا يبقى حد بين السلطة السياسية والدين، وبما ان التيارات السياسية الاسلامية كانت في

جوهرها الاجتماعي كأي حزب سياسي آخر، لذا في حال اي خلاف داخلي تتعرض له كانت تكفر بعضها البعض، وبذات العنف كانت تغتال معارضيها ايضاً مثلما تعاملت مع نفسها داخلياً، فهذا قد لا يتاج الى ضرب امثلة حوله اذا ما ذكرنا تجربة المصريين من حسن البنا الى السيد قطب و وصولاً الى ايمن الظواهري، حيث من الممكن الاتيان بنماذج كثيرة بشانه، فالمصريون قدموا تجربة الاخوان المسلمين الأولى،والأخوان بدورهم لم يلبثوا ساكنين بل توزعوا وانقسموا على افرع عدة، ظهرت من بينهم تيارات تعمل بهدوء ومرونة الى ان يتهيأ الناس كي تصل هي فيما بعد الى مرحلة الجهاد، وكانت لهم ايضاً تيارات متطرفة تعتقد ببدأ الجهاد حالاً.

وبطبيعة الحال، فأن الاحزاب السياسية بمجملها في الاخير، طالما انها كانت تستند على القرآن والتعاليم المقدسة في برنامجها السياسي، لذا فأنها خلقت جواً عنيفاً من الناحيتين الفكرية والنفسية، والاشخاص العاملون في هذه الاحزاب لم يكونوا صادقين حينما كانوا يقولون بأنهم غدوا بعيدين عن حسن البنا بعد تبنيهم العنف و لجوئهم الى التطرف. لأن احزابهم كانت في الحقيقة مدارس لانتاج وتفريخ المتطرفين من بعدهم، والى جانب هذا كانت هنالك مشكلة اخرى في المنطقة، وهي ظهور الدولة اليهودية او اسرائيل. فهذه الدولة بنيت على ارض اباء اليهود واجدادهم وتأريخ منطقتنا هو تأريخ ديني مليء بالتحولات الكبيرة، لأن اليهود في الماضي كانوا يعيشون في هذه المنطقة (اسرائيل) ثم هاجروا (اي بنو اسرائيل) الى مصر وبابل، حيث عادوا ثانية الى موطنهم، ومن بعدهم جاءت المسيحية ثم الاسلام، اما اليهود فقد قاوموا هؤلاء.

الدين اليهودي هو دين متطرف منغلق ولايحتمل التسامح، وهذا الدين

كان سبباً لبقاء اليهود، لأن الأمة اليهودية تنطق العبرية وهي لغة التوراة، والفكر القومي الاسرائيلي مبني على قاعدة الدين اليهودي و ليس على الانتماء الى ارض او عرق معين.

نشأت دولة اسرائيل بمعاونة الغرب، وكان ذلك نوعاً من الجبهة لم يكن جديدا بل كان تأريخها يرجع الى فترة تقدم اوربا اقتصادياً تقدماً منقطع النظير، واصبح اليهود انذاك في اوربا وأمريكا يملكون سلطة كبيرة جداً.

ولهذا لم تستطع اوربا وأمريكا وكذلك الآن لا يستطيعون اهمال هذه السلطة الاقتصادية والعلمية الكبيرتين لليهود. وبما ان احد جذور الصهيونية يرجع الى الماسونيين، لذا كان هذا ضمانة لتحالف اليهود مع المسيحية، حيث انهما قريبتان جداً من بعضهما من الناحية الدينية ايضاً.

ومن المحتمل ان يكون لهذا العمل من قبل اليهود تأثير على انبعاث الفكر الاممي الاسلامي، واليهود في المنطقة اصبحوا عاملاً آخر للدفع بالعنف الاسلامي ضد اليهود والغرب معاً، لأنهم عندما عادوا الى ارضهم الأسطورية المعهودة، انما تمكنوا من خلال العنف ومناصرة الغرب على تحقيق هدفهم هذا وفي نفس الوقت كان ذلك استخفافاً بمقدسات الاسلام وبما ان الدين الاسلامي دين جديد وذو نصوص واضحة و له مكانة مقدسة لاتضاهى من لدن المؤمنين به، فهو لا يحتمل ان يستخف به و على ارض ظهر عليها هو، وهذه الرؤية انما غدت الشعار الرئيسي لجميع المتطرفين على حد سواء، والعامل الاخر للعنف هم المتطرفون من اليهود انفسهم والذين يؤيدون دولة اسرائيل كتيار مؤثر ويعملون دوماً على بقاء العنف داخل اسرائيل وخارجها.

كانت هناك حرباً دينية قديمة في هذه المنطقة لا زالت مستمرة،

فاليهوديون المتطرفون والاسلاميون المتطرفون كانوا يعادون بعضهم البعض بأستمرار، وبهذا يغدو ممكناً ان يكون لمشاكل الشرق الاوسط وقضاياه تفسيراً دينياً ايضاً.

وشكل آخر من أشكال العنف للفكر السياسي الأسلامي هو تجربة المذهب الشيعي، فالذي تطرقت اليه كان متعلقاً بالمذهب السني، وتجربةالشيعة لم تكن جديدة فحينما بدأ حسن البنا بتنظير الفكر الاسلامي، كان هناك اشخاص في ايران ايضاً يستمعون اليه، وشخص كمثل نواب الصفوي الذي كان مؤسساً لمنظمة فدائيي الأسلام كان متأثراً الى حد كبير بآراء حسن البنا.

وكذلك كتب حسن البنا ومؤلفاته قد ترجمت بشكل واسع الى اللغة الفارسية في ايران وتم تبني نهجة المتطرف ايضاً حينذاك، وفي نهاية المطاف تعرض نواب الصفوي الى نفس المصير الذي تعرض اليه حسن البنا، حيث القي القبض عليه واعدم، ومن بعدهم انتقل التطرف الى منظمات آخرى، وأحدى هذه المنظمات هي منظمة مجاهدي خلق التي ضلت نهجها، وهي الآن اصبحت في ميدان الصراع السياسي حزباً شبه ديني، لكن مع ذلك يطغى عليها الطابع المذهبي منه الى العلمانية.

يوجد مذهبين في الاسلام، السني والشيعي، والمتبنون لهما هم مسلحون بالطبع، الا انهما متعارضان من حيث التفاصيل الفقهية، ولهذا فتجربة الحركات الاسلامية للحكم السني ليست بعيدة عن رد فعلها ازاء تمرد الشيعة ضد السلطات السنية في عهد الأمويين والعباسيين وآخرين كذلك، والشيعة في بعض الاحيان لجأوا الى التصوف ايضاً كوسيلة للدفاع عن انفسهم.

وهذه الظاهرة استمرت الى ان جاء الصفويون الى الحكم وفرضوا المذهب الشيعي على ايران.

فالمذهب الشيعي في ايران مقارنة بالمذهب السني في العالم الاسلامي، له تخالط اكثر مع الحياة السياسية والاجتماعية وهذا يرجع الى اسلوب الاجتهاد الموجود لدى الشيعة. حيث لهذا المذهب انفتاح اكثر وتأويلات جديدة ومتعددة في التفسير والرأي، ولهذا نرى بأن اي تغيير سياسي لم يحدث في ايران اذا م يكن قد صاحبه تدخل من قبل علماء الدين الشيعة (آية الله)، ولآخر نموذج هو تجربة جمهورية ايران الاسلامية بزعامة الأمام خميني، حيث برزت في نهاية الخمسينات من القرن المنصرم ووصلت الى السلطة على طريقتها الخاصة، وعندما اقول بطريقتها الخاص، اعني وصول ذلك التيار الى السلطة كان بأسلوب جديد ومختلف عن جميع الحركات الاسلامية في تأريخ الاسلام بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة.

فالأمام خميني وعلى طريقة المهاتما غاندي، ابتدع وطرح اسلوباً جديداً في مجال المقاومة الاسلامية وذلك بتبني نهج الدفاع السلبي اي السياسي فيما يخص اللجوء الى الجماهير وبناء تحالف سياسي واسع يحتضن كل التيارات والاتجاهات المناوئة للشاه ، ومن خلال هذه الطريقة تسلم زمام السلطة و وصل الى الهدف ومن دون ان يطلق حتى رصاصة واحدة فقط ضد سلطة الشاه. وبالطبع حينما جاء النظام الاسلامي الى الحكم، مارس السلطة على اعنف مايكون و تصرف عكس مرحلة ما قبل الثورة، وهو الى اليوم يقمع معارضيه بطريقة هي الاكثر صرامة وعنفاً، وحتى معارضوه السياسيون خارج ايران وصلت اليهم ايادي المتطرفين الشيعة وبطشوا بهم.

وكان لجمهورية ايران الاسلامية نهجاً خاصاً آخر المسمى بنشر الثورة او تصدير الثورة الى خارج ايران، وبما ان الثورة هذه كانت ممزوجة برؤية المذهب الشيعي، لذلك نرى بأنها لم تلق صدى لها في دنيا السنة، فلو كان الأمام الخميني او جمهورية ايران الاسلامية على المذهب السني، لأثر مفهوم نشر الثورة كثيراً على المنطقة و أدى الى بعث الحركات الاسلامية، مع هذا يجب ان لا يغيب عن بالنا بأن الجمهورية الاسلامية التي تأسست عام ١٩٧٩ قد احيت الحركات الاسلامية في العالم الاسلامي مجدداً، ولو لم يكن هناك خلاف بين الشيعة والسنة، لكان تأثيرها على الحركات تلك ذات التأثير الذي تركته على شيعة العراق وجنوب لبنان، حيث نرى تأثيرها مباشراً وهؤلاء يرون انفسهم جزءاً من سياسة ايران العالمية.

ونوع آخر من التطرف هو تجربة الاسلاميين في السودان، الذين اتخذوا من وجود طائفة أخرى مسيحية جنوب بلدهم ذريعة لانتهاج التطرف الاسلامي، لذا نرى بأن مفهوم الدولة الاسلامية تنامى هناك ايضاً.

ويترای بأن في اية دولة عاشت اديان آخرى وخاصة المسيحية واليهودية جنباً الى جنب مع المسلمين، نرى فيها تطور العنف الاسلامي سريعاً، وكمثال على هذا: في باكستان نظراً لوجود الهند، في السودان نظراً لجنوبه المسيحي، في لبنان نظراً لوجود المارونيين، ففي كل هذه البلدان لجأ الاسلاميون الى العنف، وافغانستان انما هو نموذج آخر سنأتي اليه لاحقاً.

ان تجربة الاسلاميين في السودان تتكثف في: انهما استولوا على السلطة في اواسط الثمانينات، المنظر الأسلامي حسن الترابي ازاح

الحكومة الاسلامية التي سبقته. عن طريق الانقلاب الذي كان برئاسة عمر حسن البشير والذي هو من حزب حسن الترابي.

عندما حدث خلاف بين حسن الترابي وعمر حسن البشير، نرى بأن الخلاف انتهى عندما قام البشير بسجن استاذه خلف قضبان الحكومة التي تأسست على يده (الترابي)، والقسم الذي يقوده البشير و زمام الحكومة في يده، نراه يسير نحو الانفتاح ويريد ان يبتعد عن التطرف الاسلامي، وتجربة الحكومة الاسلامية في السودان ايضاً انتهت دون اية نتيجة تذكر، ففي البداية لم يكن تطرف اسلاميي السودان اقل ماهو عليه في البلدان الأخرى، ولكن بما ان السودان كان بعيداً عن مرأى العالم، نرى بأن حجم الكارثة لم يكشف، في حين ان المتطرفين في السودان كانوا يشجعون العبودية ونظام تجارة الرقيق، حيث كانوا يبيعون اطفال ونساء مسيحي الجنوب بعداسرهم في اسواق السودان، وهذه القضية ومنذ سنوات غدت محل اهتمام من قبل المنظمات المراقبة لحقوق الانسان.

وهنالك تجربة افغانستان، وهو بلد كان قدره ان يكون التطور الاقتصادي والاجتماعي فيه بطيئاً، كان لافغانستان حدوداً مشتركة مع الاتحاد السوفيتي، ويقع الصين في جانبه الآخر، له حدود طويلة مع ايران الشيعية وباكستان المتطرفة السنية، وكلهم كانوا على الجبهة المناهضة للسوفيت، لذا كان الصراع على دور افغانستان ساخناً والأطراف المتصارعة كانت ترى بضرورة حسم هذه المنطقة، فلو احتلت من قبل السوفيت لضمن الروس اقترابهم من الخليج، لذلك ليس من المستبعد ان يكون محمد ظاهر شاه قد اقيل على يد الغربيين عام ١٩٧٣، لأنه كان ملكاً مرناً بتأثير الثقافة البوذية والتصوف القديم، حيث كان يفكر ان تطور بلده مثل ملك النيبال عن طريق التسامح والاعتدال و الانفتاح، الا

ان اقالة هذا الملك ونظامه كان قدراً مشؤوماً لأفغانستان، حيث تحول افغانستان بعده من الملكية الى الجمهورية، ولم يستغرق ذلك طويلاً و قام الشيوعيون بالانقلاب بدعم من السوفيت، ومجيء الشيوعيين هذا قد اغاظ امريكا وايران وباكستان ومن جانب آخر اثار الشعور الاسلامي في المنطقة ايضاً، لأن كشمير المجاورة لأفغانستان كان نصفها تحت سيطرة الهند وباكستان انما كان مصدراً كبيراً للتطرف الاسلامي مقابل الهند

عندما جاء الشيوعييون الى سدة الحكم في افغانستان اعطوا المبرر للأسلاميين كي يناهضوهم وسرعان ما أتخذت حركة المقاومة الأفغانية طابعاً اسلامياً، وهذا الطابع الاسلامي قد لقي الدعم والمساندة من لدن الغرب وفتحت جميع الابواب بوجه الحركة الاسلامية كي تبدي ما بوسعها من تطرف حتى يتمكن من اخراج حكومة الشيوعيين من افغانستان واسقاطها.

الاسلاميون الذين عرفوا بالمجاهدين وأسقطوا النظام الشيوعي كانوا يتلقون دعماً لا محدوداً من آمريكا و مساندة من السعودية وحلفاء أمريكا، وحركة طالبان نفسها هي ثمرة فكر المراكز الاسلامية في باكستان، حيث تظهر الآن الاعترافات شيئاً فشيئاً حول كيفية تأسيس حركة طالبان والأهداف الأقليمة وراء ذلك، والذي في الأخير خرجت حركة طالبان عن طوع الغرب ولم يعد بامكانه السيطرة عليها وانقلب الأمر الى ما لا يشتهيه الغرب، وبعد نهاية الشيوعية لم يبق للغرب اي مبرر لدعم الاسلاميين هناك، وقضيتا فلسطين وكشمير بقيتا هكذا دون معالجة، تأثيرات العولمة، المفهوم الجديد لتخالط الثقافات، غزو حضارة وثقافة الغرب للمنطقة، تطور مفهوم الديمقراطية والمجتمع المدني، والى جانب هذا بروز قضية كوسوفو، الشيشان و البوسنه، وبما ان هذه في مجملها نقاط

اكثر ضعفا، الا انها شكلت دافعاً لشحذ همة الجهاد الاسلامي.

ان امريكا واوربا واجها مدة مسألة علاج هذه القضايا، كانا مضطرين ان يعاملا الشيشان بالنحو الذي رأيناه حيث نتج عنه العنف، و وضعا معالجة غير اسلامية لقضية كوسوفو وكذلك الحال بالنسبة الى البوسنة، وافغنستان نتيجة لرؤية طالبان بخصوص الادارة والنظام الاجتماعي والاقتصادي انذاك اصبح جحيماً لايطاق وكان يرى كنموذج للاستخفاف بكرامة الانسانية، وهذا ما دفع بالغرب ان ينتقده، في حين كان افغانستان قاعدة واسعة وكبيرة لكل المتطرفين المناهضين للغرب، وقبله بسنوات كان الغرب بدعم طالبان كحركة تحررية ضد الاتحاد السوفيتي الشيوعي، والأن نرى بأن الحرب العالمية الثالثة الموجهة ضد الارهاب قد اندلعت نتيجة لذلك التطرف الذي كان مدعوماً من قبل الغرب نفسه، تلك الحرب التي تستعر أوارها بين الغرب و المتطرفين الاسلاميين، وبالطبع فأن لهذه الحرب جوانب آخرى: هذا التطرف ليس تعبيراً عن اختلاف الدين، بل انه انعكاس للأشكالية الحضارية والثقافية بين الشرق والغرب، ومن المحتمل ان يكون نتيجة لانفعال ثقافتنا الشرقية وعدم تحملها ازاء الانفتاحات الحاصلة، فالشرق لايريد ان يفتح ابوابه، لايتجرأ على كسر الجمود الاجتماعي وفتح الطريق امام الحرية الفردية والتقدم الاجتماعي والنظام الديمقراطي، لأن هذه المفاهيم العالمية تعرض الشرق الى اصلاحات شاملة.

بعد انهيار الشيوعية بدأت مرحلة جديدة وساد العالم نظام القطب الواحد الذي وضع كل القضايا داخل اقليم واحد المسمى بالعالم الجديد، والتوجه الجديد يريد ان يجعل العالم كله كفريق واحد و يسير في اتجاه حكمه كدولة واحدة، وهذا بغض النظر عن بقاء مناطق معقدة كما هي مثل

كشمير وفلسطين و كوردستان ومناطق آخرى مثقلة بالمشاكل، ففي هذه الايام تلقى القضايا والمشاكل في اصقاع الدنيا المختلفة الأهتمام وبأيما سهولة، حيث تعيش الآن كل النقائض والمتضادات معاً، الا ان النظام العالمي الجديد والى الآن لم يتسنى له ان يعالج ل هذه المشاكل مرة واحدة، كي ياتي ليفكر في البدائل الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية الشاملة، حيث من البديهي ان يقوم قائمة التطرف في وجه البديل الذي يفرض ضغوطاً على منطقتنا الآن.

ويجب ان لا ننسى امراً بأن الذي يسمى بالعولمة جاءت نتيجة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي و الثقافي في الحضارة الغربية وهي ثمرة لها ومستمدة من الدين المسيحي، ناهيك عن شعور العرب والفرس بالدونية ازاء تقدم الغرب، فالعرب والفرس يشكلان غالبية الدول الاسلامية ويعتقدان بوجوب ان يكون لهما دوراً اكبر، ويحسبان بأنهما يملكان لغة غنية و كان لديهما ديناً غالباً في تأريخ الشرق و دوراً مشهوداً في تأريخ الانسانية، ظهرت الفلسفة والشريعة ونظام الحكم في هذه المنطقة وانتقلت بعد ذلك الى اوربا. واليوم يرى العرب انفسهم كتابعين في مقابل الغربيين فيما تتعرض لغتهم وثقافتهم الى الضغط، وهم لا يقبلون حالة كهذه على الاطلاق، ولهذا فهم متيقنون بأنه اذا لم تواكب حضارتهم وتتزامن مع ثقافات الشعوب الاخرى سوف يتجهون نحو الاندثار والتفكك، فكل هذه تشكل اسبابا لظهور المواجهة التي تتمظهر في السياسة، والان هناك خشية واسعة وكبيرة تسود الشرق المسلم وهذا الخوف والوجس لم يشمل الاسلاميين المتطرفين فحسب، بل شمل المثقفين والسياسيين العرب والفرس ايضاً.

نرى بأن السياسيين الذين هم في السلطة ويديرون دفة الحكم في الدول

العربية والاسلامية بكل دكتاتورية، نرى وجود معارضين لهم داخل هذه الدول، معارضة يسارية ويمينية واسلامية متطرفة ضد هؤلاء الحكام، فهؤلاء جميعاً يعيشون في ظل هذا المناخ الرهيب الذي حصل، لكل واحد منهم وعلى طريقته الخاصة يفسر هذا الشبح وبواجهة ايضاً بأسلوبه الخاص، وكمثال عندما يتكلم حسني مبارك، او عندما يتحدث فاروق الشرع في سوريا، او خامنئي في طهران عندما يتخذ موقفاً، او حين يكتب ادوارد سعيد شيئاً في امريكا و يتكلم شيوعي معروف ك كمحمود امين العالم، فهؤلاء جميعاً يتحدثون عن نوع من المقاومة والبقاء و غلق الابواب بوجه الثقافة الغربية وحضارتها التي تدعى العولمة.

هنالك صوت يقول: يجب حماية خصوصيات المجتمعات. ولكن اذا كان هذا على حساب التقدم والديمقراطية وأنسنة مجتمع الشرق، لا اعتقد بأن يكتب له النجاح، وعندما اعلنت الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد الارهاب، لم تعارضها في ذلك اية دولة في الشرق الاسلامي بل ساندتها جميعاً، فبعد ذلك بدأت تتراجع عن موقفها شيئاً فشيئاً، وفي حال قيام امريكا بتشديد قيادتها الثقافية والعسكرية و التكنولوجية، سوف لن تبقى انذاك مسألة تتفق عليها الدول الاسلامية وتتوحد، والذي يجمعها حينذاك فقط هو خوفها المشترك، والا فليس هناك قاعدة مشتركة تربطها، ولهذا فهي تبدي مقاومة غير مجدية.

الدين الاسلامي في حينه قدم خدمات جليلة للفكر والتقدم الاجتماعي، حيث كان تجربة جديدة و ذو تأثير على الاديان الاخرى، لأن النزعة التوسعية للأسلام، وبعد احتلال جزء كبير من اوربا، ولد القناعة لديهم بوجوب مراجعة انفسهم، وهذا ما ادى الى حدوث منافسة وليضطلع الغرب ايضاً بأداء دور آخر، وكان هذا عاملاً دفع بالغرب كي يتقدم مبكراً

من الناحيتين الفكرية والاجتماعية، والاسلام وصل الى عمق اوربا الشرقية واسبانيا وفرنسا و المانيا، و وقتذاك ظهرت البروتستانتية وحصل الانفتاح الفكري، ولا اقول بأن كل هذا حدث مباشرة بتأثير هجوم الاسلام، الا انه لم يكن من ضغوط الاسلام ببعيد.

ان من احد نواقص الجمود الاسلامي هو ذلك القفل الكبير الذي أغلق به باب تفكيره، وهذا ادى بالفكر بأن لا يقوى على التقدم من الناحية الاجتماعية، في حين كان بمقدور الأسلام ان يبقى كدين وكنص مقدس (لأن الدين لا يجوز ان يعدل او المس به)، لكن من الممكن ان يتم تحديث كل ماهو متعلق بالحياة الاجتماعية والادارة، ان الابتداع والتأقلم في التاريخ الاسلامي ظاهرة ليست بجديدة وغريبة، وعمل من هذا القبيل يعد قفزة تأريخية وكبيرة ويؤدي الى احداث تقدم هذه المنطقة، واليوم من حيث الاشكالية التي بين الحضارات، يعتبر الاسلام و دنيا الشرق في عداد التخلف الى ابعد الحدود، في الوقت الذي تعتبر هذه المنطقة مركزاً فكرياً وثقافياً تأريخياً كبيراً ومهد لظهور كل الافكار و الحضارات في العالم، فحضارة وثقافة بلاد مابين النهرين (ميزوبوتاميا) ومصر وايران والتي جلبت معها حضارة الهند والصين طورتها ايضاً، كل هذه الحضارات تمازجت مع بعضها وكان بأمكانها ان تضمن نموذجاً جميلاً لتقدم الشرق، ولكن حينما لم يحصل ذلك كان من البديهي ان تظهر بدائل أخرى كنتيجة لتقوقع ولاة المسلمين انفسهم، وكذلك جراء لا ديمقراطية النظام السياسي وقيام الاسلاميين بأدلجة الاسلام الى ابعد حدود التطرف، حيث اصبح اليوم مظهراً لمقاومة متخلفة ورجعية في العالم ضد القيم الانسانية الاساسية، وهنا لا اريد ان الصق طابعا لا انسانياً بالدور الاجتماعي للدين، ولكن هذا التيار السياسي في الحقيقة لا يهدف الى

حماية الدين، بل يريد ان يعرقل عملية التقدم ويؤكد على الانغلاق والركود والابقاء على الشرق في هذه الحالة الطارئة، وبهذا لن يجني شيئاً سوى مقاومة عقيمة وغير مجدية من دون ان يحقق نتيجة تذكر، ناهيك عن عدم دفاعه عن التقدم وكرامة الانسان كجوهر وكمضمون، ولهذا السبب متى ما ذكر التيار الاسلامي فأنه يأتي في موازاة الأرهاب، اذاً فالدين الاسلامي جعل منه من دون وجه حق درعاً و ايديولوجية للارهاب، وكان من المفروض ان لا يكون كذلك وان لا يتخذ من دين الاسلام كمصدر فكري للتخويف و الترويع.

للارهاب اهداف سياسية، لأن هؤلاء هم سياسيون و يدافعون عن النظام الاجتماعي القديم والمنغلق، ولهذا يلجؤون الى الدين الاسلامي، وهنا ارى بأن الدين الاسلامي قد تعرض للظلم.

نظرية خاتمي عند الشيعة تتناول لانفتاح والمجتمع المدني وخصوصيات الشرق والاسلام، وهذا توجه جديد وجرأة كبيرة لهذا الطرف الذي لايريد ان يقاوم الاسلام وفق اسلوب عنيف، فهذه النظرة تطلب بأن يفكر المجتمع المسلم ويشارك في تغيرات العالم بما لديه ويحرز التقدم وبالأخص في المسألة المسماة بقضية الحضارات، وبهذا الصدد نرى بأن خاتمي قد جاوز ذلك ايضاً وقال: يجب ان لايجرى الحوار فقط بين الحضارات، بل يجب ان يبدأ الحوار بين الأديان ايضاً، ومن هذا المنظور، نجد بأن اليوم في ايران يريدون ان تحظى الأديان الأخرى بأحترام اكثر، وفي ذلك جرأة كبيرة حينما يتحدثون عن التعددية الدينية.

وفي نهاية المطاف اي طرف سوف يخرج منتصراً من هذا الصراع والتنافس؟ وانا اعتقد بأنه من السذاجة اذا قلنا ان الغرب سوف ينتصر بفضل قوته التكنولوجية والمعلوماتية، لكن في حال عدم انتصاره سوف

يفرض اموراً عدة، وأحد هذه الأمور هو الأمان، مادام الشرق لا يستطيع حفظه لوحده حفظ الأمن ويشكل تهديداً ضد الغرب، هذا بحد ذاته يعطي الشرعية للغرب كي يصون امن العالم، وهذا سوف يطلق يد الغربيين من جديد لتقسيم العالم.

الشرق وثقافة الاسلام والى اليوم، على الصعيد الثقافي لازال يمتلك قدرة الحوار والديمومة وستكون له مكانته الخاصة في المستقبل العالمي الآتي.

واذا لم تسيره العملية بهذا الاتجاة، تكون منطقتنا هي الخاسرة في النهاية، والخسارة هذه ستكون كارثة كبيرة جداً، وأفغانستان هي نموذج لهكذا كارثة كبيرة حينما نرى بلداً معدما مستضعفاً يوضع في وضعية المقاومة، حيث دمر بنفسه وأصبح لكل الدنيا بمثابة رأس الفتنه للأزمات، لكن عندما يبدى الشرق كله المقاومة ماذا سيحدث ياترى؟ اذا سوف تواجه الدنيا معضلة لا يمكن علاجها بالسلاح ويجب في النهاية ان يكون هنالك نوع من التفاهم.

لكن كيف هو هذا التفاهم؟ يوجد لدى التفاهم اساليب وطرق معاجة خاصة وهو الديمقراطية وحقوق الانسان وتكنولوجيا المعلومات والتقدم الأقتصادي و والاداري للبشر مقابل افكار وآراء اشخاص كمثل بن لادن و الملا محمد عمر، حيث أصبحا منظرين اسلاميين ولا يملكان شيئاً سوى تلقفهما لنتف من النظام الاجتماعي البدوي البالي.

واذا القينا نظرة على تأريخ اصحاب الفكر في الاسلام، سنرى لديهم وجود ابواب منفتحة وعلى درجة تكفي هذا الدين كي يساهم هو والمثقفون والجزء العلماني للمجتمع في دفع العالم نحو التقدم وأن يضفي خصوصيته الشرقية ايضاً على ثقافة وتجربة العالم مثلما فعلا الصين

واليابان، فهما متقدمان عى طريقتهما الخاصة، واذا نظرنا الى تركيا نرى بأنه يريد ايضاً التقدم على طريقته، ومن الضروري جداً في منطقتنا دراسة هذه التجارب كي نعثر على بدايات الطرق المؤدية الى وجهتها ومسارها.

كيف ظهر الفكر السياسي الأسلامي في كوردستان؟

لو اردنا ان نبحث في كيفية بروز الحركة التحررية الوطنية في كوردستان، يجب علينا ان نرجع الى تلك الحقيقة بأن هذه الحركة قد بدأت على يد رجال دين كبار، فهؤلاء القيادات القومية والوطنية كانوا مثقفين دينيين وسياسيين وأجتماعيين عظام في كوردستان، وهذا بحد ذاته موضوع لم يبحث الى الآن، واذا تم دراسته بصورة جيدة و مستفيضة، لأمكن الاستفادة منه كتجربة في هذه المنطقة.

فالشيخ عبيدالله النهري الى جانب كونه شيخاً كبيراً، كان متصوفاً ثورياً وعارفاً انسانياً وعالماً دينياً كبيراً، حيث كان القائد القومي الكوردي الاول الذي ادخل مظاهر الفكر القومي الى الحياة السياسية في كوردستان، والمحطات التي تلته و وصولاً الى سيد رضا، شيخ سعيد بيران، الشيخ محمود، القاضي محمد والبارزاني الخالد، كلهم كانوا يسيرون على ذات المذهب والمنهج، لكن كل واحد منهم قدم رؤى وتوجهات جديدة لتكملة الفكري القومي تبعاً لظروف وتقدم المرحلة التي ظهروا فيها.

والذي نسميه بالفكر الأصيل للحركة التحررية الكوردستانية مختصراً يقال عنه (الكوردايتي)، الذي يتضمن كل تلك المباديء التي تساند تحرير كوردستان و تقدم المجتمع نحو الأستقرار وبعيداً عن كل اشكال التطرف وصنوف الرجعية، وهذا يسمى ب (نهج البارزاني)، مصطفى بارزاني كان

عالماً دينياً متنوراً، وهذا الموضوع في الحقيقة يستحق تمعناً جديراً، حيث الى اليوم ونحن في بداية القرن الواحد والعشرين، التراث الذي تركه البارزاني الخالد من وراءة لا يخالف بتاتاً مباديء عصرنا هذا فيما يخص مجالات التنظيم الاجتماعي وحماية حقوق الانسان كذلك القواعد التي تتقدم بها المجتمع الانساني، فهذا الموضوع يحتاج الى وقفة، لان هناك نقصاً يعتري عمل باحثي الفكر في كوردستان، حيث والى الآن لم يتم دراسة رؤية وتراث البارزاني بجدية ودقة تشمل جوانبه وخاصة في منظور انه كان عالماً دينياً مثقفاً أو مثقفاً دينياً وقائداً سياسياً.

وهنا لا اريد ان اطلق دعاية سياسية، لكن قصدي هو ملاحظة: لماذا الاحزاب الاخرى الاسلامية في كوردستان لم تستطع لعب اي دور في مجتمعنا؟

ان تأريخ الأدب والثقافة الكوردية قد نشأ ونضج على يد هؤلاء الشعراء والكتاب والعارفين في المجتمع الكوردي، فهؤلاء ترعرعوا في مساجد وتكايا وخانقاهات كوردستان التي كانت مراكز تثقافية الى جانب كونها مراكز دينية، وعلى مر قرن ونصف القرن برزت الحركة التحررية الكوردستانية بشكلها البدائي والى أن وصلت الى هذه المرحلة، لم نر نشوء شيء يحمل اسم الفكر السياسي الأسلامي داخل الحركة التحررية الكوردستانية، اي لم يكن بمقدور اي تيار عدا القومي والوطني ان يدخل المعترك السياسي كظاهرة داخل المجتمع الكوردي، ففي عهد العثمانيين لم يظهر شيء في وطننا بأسم الحركة الأسلامية، انا لا أريد ان اخوض في هذه المسألة. الان جميع المراكز الدينية لم تكن متشابهة كما ترويه لنا الدلائل التأريخية، حيث كانت هنالك ثمة شخصيات دينية لها مواقف لاوطنية ومعادية للشيخ عبيدالله النهري والأمارات الكوردية، وهنا لا احمل

الحركات السياسية الأسلامية المواقف المختلفة للشخصيات الدينية انذاك، لأنهم لم يكونوا شخصيات سياسية فأشخاص مثل ملا الختي انموذج لهؤلاء الشخصيات الدينية الذين ذكر اسمائهم في التاريخ، ومن المحتمل ان يكون هنالك اشخاص آخرين كثيرين لم يسجل التأريخ اسمائهم.

في بداية القرن العشرين وتحديداً بعد سنوات الثلاثينات حيث ظهور الفكر الاسلامي، في كوردستان ايضاً كانت الحركة التحررية بقيادة الشيخ محمود الحفيد قد بدأت، وبعد ذلك نشبت ثورات بارزان، لكن لم تكن هناك حركة في العراق وكوردستان تحمل اسم حركة اسلامية ويحسب لها حساب، الا ان حركة الأخوان المسلمين كانت قد ظهرت انذاك ولكن الاخوان بقوا في سوريا كتنظيم سياسي وكان نشاطهم محصوراً في نطاق شخصي كان هؤلاء دوراً موثراً وكان لهم مواقف ايضاً، وقدموا انفسهم كما ذكرناهم سالفاً، لكنهم تعرضوا للقمع، الا انهم في العراق لم يحضوا بالنمو والتطور، وقد يرجع ذلك الى الخصوصيات الدينية في العراق، فهذه الدولة تتكون ن مذهبين اثنين الشيعي والسني، حيث العلاقة بينهما كانت مريرة، وهذا راجع الى تأثير ايران على الشيعة، ففي عصر القاجاريين عندما بدأت الحركة السياسة في ايران تؤثرفي المجتمع عن طريق الفكر والفلسفة والتوجهات الجديدة، كان للشيعة و وعلمائها (آية الله) مشاركة نشطة، وكلما كان في ايران يتعرض احد العلماء (آية الله) او سياسي الى الملاحقه والضغط كان يلجأ الى النجف وكربلاء. والشيعة العراقيون كانوا دوماً في موقع المساند للحركات السياسية والدينية في ايران، وفي كثير من الاحيان كانت الفتاوي الخطيرة لتقويظ الملك تصدر من النجف الكربلاء، والأمام الخميني هو المثال على ذلك الذي بقي في النجف الى اواخر ايام اسقاط محمد رضا شاه، كذلك الحال ان في زمن

ثورة المشروطة، وكان في هذا الصراع موجوداً بين سياسة بريطانيا الاستعمارية وحكومة القاجار، لأن الروس كان لهم اليد الطولى في ايران مقارنة بالانكليز، حيث كان الصراع على اشده بين الروس والانكليز.

والايرانيون كانون دوماً يرون بان مصالحهم لضمان استقلالية ظاهرية انما يفهمها الروس اكثر من الانكليز، وكان يزداد تأثير الروس والانكليز على مواقف علماء الدين وحكومة ايران بأزدياد نفوذهما في البلاط الايراني، وفي النتيجة وصل الانكليز الى قناعة بأن الشيعة كفكر سياسي لا تساير المصالح البريطانية، لذا عندما تم تأسيس العراق لم يدع الانكليز بأن تنشأدولة شيعية صغيرة على شكل دولة الكويت بقيادة (الشيخ خزعل) في منطقة خوزستان، وبعد مغادرة العثمانيين وبدء فترة الأنتداب البريطاني، تم لملمة وتجميع ما خلفه العثمانيون وجعلت منه مادة سياسية وأدارية لحكومة العراق الحالية (بكورده وعربه) ومن دون ان يعطي الاكثرية الشيعية اي دور في هذا البلد، وفي تلك الحالة لم يكن هناك لأي شخص اي دور يذكر بأسم الفكر الاسلامي انذاك على الساحة.

الأخوان المسلمون الذين ترجع جذورهم الى مصر، كانوا يلجؤون في مسألة النظام السياسي والادارة الاجتماعية وحقوق الانسان الى النهج السلفي المتزمت للمذهب السني، والوهابيون في السعودية جاؤا قبل الأخوان المسلمين بفترة وظهروا كتيار مذهبي بين السنة في عهد العثمانيين، حيث سيطروا على منطقة الجزيرة التي نشأت فيها السعودية، والسعوديون كدين اسلامي يتبنون فتاوي ونهج الوهابية وقريبون كثيراًمن فكر اخوان المسلمين، ولهذا الى جانب الدور الذي كانوا يضطلعون به في تحالفات المنطقة السياسية من حيث استخدام مقدسات الدين في بلدهم الذي يوجد في الكعبة ويشكل مركز العالم الاسلامي، في نفس الوقت كان

تقارب رؤى ونهج الوهابيين مع الاخوان المسلمين سبباً مساعداً اخر كي يتوجه الاخوان الى السعودية ويمكثوا هناك، لكن بعد مرور فترة نشبت بينهما خلافات، حيث الى جانب التغيرات في العالم، هنالك شيء آخر في السعودية، وهو ان عائلة ال سعودذات سلطة ولاتسمح بوجود نشاط سياسي على شكل تنظيم حزبي، ولكن الاخوان كان لديهم تراث سياسي تنظيمي، وهذا ما ادى بالنتيجة الى بروز صراع وخلافات بين السعودية وجماعة الاخوان.

اما في كوردستان، عندما اندلعت ثورة ايلول، فتح مصطفى بارزاني الباب بوجه الشخصيات الدينية والوطنية، مع هذا لم يمكن للفكر السياسي الاسلامي كمذهب، اي وجود بصورة عامة داخل الحركة التحررية الكوردستانية، الا ان بعضاً من السياسيين الاسلاميين اليوم يقولون بأنهم عملوا في اتحاد علماء الدين الكوردستاني، وهذا لم يكن يمثل جناحاً تنظيمياً، بل كان ذلك نتيجة لقرب هؤلاء الاشخاص من مصطفى بارزاني، وبعضهم يقول بأنهم كانوا على علاقة مع الآخوان، الا انهم لم يعملوا انذاك بتاتاً كمنظمة سياسية في كوردستان.

ومتى ما يأي الحديث عى حركة الاسلام السياسي في العراق، يخطر الشيعة عى بالنا مباشرة، حيث مواقفهم المناهضة للحكومة العراقية لم تكن خافية وحاولوا ان يكونوا على المام بحركة كوردستان التحررية، وقتل منهم كثيرون فمدينتي النجف وكربلاء بعائلاتها العريقة وصاحبة التأريخ، مشهود لها دورها الديني ونضالاتها السياسية، ومع هذا لم يكن لها اي تأثير يذكر على الحركة السياسية في العراق.

لأن الشيعة ومن البداية كمذهب، لم تحظى بالقبول من قبل السنة والحكومة العراقية سلطة كانت بيد السنة، لذلك لم تتمكن المعارضة

الشيعية على ان تكون جزءاً من فكر الحركة السياسية العراقية، وخاصة في كوردستان حيث لايوجد فيه الشيعة الا بنسبة ضئيلة جداً، وعندما تعرضت ثورة ايلول الى الانشقاق والصراع، في هذا ايضاً لم يكن للدين اي موقف فيه، اي انه في عام ١٩٦١ وحتى عام ١٩٧٥ لم يكن هنالك اي توجه ونظرة دينية للسياسة في كوردستان كي يريد ان يكون له رأي في الصراع السياسي، وبعد نكسة عام ١٩٧٥ ظهرت الفرصة مرة آخرى في الميدان السياسي الكوردستاني لنشوء احزاب و تيارات مختلفة خارج نطاق الحزب الديمقراطي الكوردستاني، حيث برزت خارج نهج البارزاني تيارات اخرى فكرية وسياسية، احزاب صغيرة وكبيرة، حاول اناس آخرون والحزب الشيوعي وقدموا مشاريعهم، والذي الاحظه انه، لن ظهر من بين تلك المشاريع شيء بأسم المشروع الاسلامي ليشارك في ادامة لهيب الثورة مجدداً، واذ نرجع الى السنوات التي تلت عام ١٩٧٦ نرى هذه المشاريع وهي ظاهرة ومعلومة: الشيوعي كان متحالفاً مع البعث و بعد ذلك انفصل عنه، بدأ البعث بتبني سياسة الترحيل والصهر القومي في كوردستان، وتيار الاتحاد الوطني وقف بذلك الاسلوب المتطرف مقابل جميع التيارات السياسية في كوردستان، استمر الحزب الديمقراطي الكوردستاني في المقاومة، ولكن لم تظهر اثناء ذلك اية منظمة او شخصية اسلامية، الى ان بدأت الحزب العراقية الايرانية، انذاك بجهود خارجية بدأ العمل على تأسيس التيار الاسلامي وبعد اندلاع الحرب العراقية الايرانية، وقع كوردستان بين رحى دولتين و وقعت مناطق حدودية شاسعة بيد البيشمركة وفي رحمة ذلك التوازن الذي فرضته الحرب الدائرة بين جيشين،حيث غدا بأمكان اناس كثيرين التواجد في هذه المناطق، وكانت هنالك مناطق توجد فيها قوات البيشمركة، لكن لم تكن السلطة فيها رسمياً بيد احد، وحكومة ايران الاسلامية في حربها مع العراق كانت

تطمع بأن تسيطر على المناطق الشيعية في العراق، والجمهورية الاسلامية الى جانب سياسة تصدير الثورة، كانت تبدي التسهيلات لتأسيس حركات سياسية اسلامية في كوردستان،حيث احتضنت احزاب وشخصيات اسلامية عراقية.

ومن الجدير بالقول، بأن الصراع لم يكن قد حسم انذاك بعد بين الشيعة والسنة، كي يغدوا بمقدور المنظر السياسي الشيعي على ان يؤسس الحركات الاسلامية داخل السنة، ولهذا عندما اقدمت ايران في البداية على مساندة هؤلاء الاشخاص والمجاميع الاسلامية الكوردية التي اسستها بنفسها، كان يبدو عليها الارتباط و الذيلية اكثر مما كانت احزاباً سياسة، وكمثال كل تلك المراجع والكتابات الصادرة في قم وطهران والمراكز الاعلامية الشيعية الاخرى كانت توزع على اللاجئين بكثافة، و دون ان يقرأها احد، واخيراً تغير اسلوب معاملة الجمهورية الاسلامية مع تلك المجاميع العسكرية الاسلامية وتحول من الجانب الايديولوجي الى الجانب الامني، اي ان مؤسسة الاطلاعات عاملتها كمجاميع مسلحة كوردية عراقية والتي كانت مرتبطة بمراكزها الامنية والعسكرية، وبهذه الصورة فتحت المجال امام اناس آخرين خارج ايران الشيعة كي تأتي وتعمل، وبأعتقادي عندما نأتي ونبحث في نهج وتاريخ الحركات الاسلامية في كوردستان العراق، نرى بأنها قد نشأت في ايران، الا انها لم تبق تحت تأثير و مظلة الايرانيين، لانه غدا بأمكانها الذهاب الى لبنانه وسوريا ومصر وباكستان، حيث ان نهجها المتطرف كان بتأثير من المجاهدين الاسلاميين في افغانستان الذين كانوا انذاك حركة مناهضة للشيوعية للتحرر من السوفيت واسقاط حكومة الشيوعيين الافغان، والمجاهدون الافغان كان معهم الى جانب الاسلاميين اناساً اخرين، ولم يكونوا في

هذا كحركة طالبان، وأن مسألة الجهاد وتوجه الناس الى افغانستان، كذلك قرب افغانستان من كشمير ادى بأن يكون الخليج محطة للذين ينوون الذهاب من هناك الى افغانستان، وبهذا تحول مركز نشوء وتنامي فكر الاسلاميين من مصر والشام وانتقل الى السعودية والخليج، حيث كان التنقل بين الخليج وايران أمراً في غاية السهولة وبين اعوام ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٥، كان السفر بين باكستان وأفغانستان وايران كالسفر بين قنديل وبيرانشار، ولم يكن من الممكن السيطرة عليه بأي شكل م الاشكال، لذلك كانت الحركة الاسلامية بجناحيها والى حد كبير تحت تأثير ذلك الجهاد والنضال الاسلامي الموجود انذاك في افغانستان، فكل قيادات الحركة الاسلامية زارت افغانستان وبقت هناك وتلقت التدريبات هناك ايضاً، وأول مطبوعها الذي كان يحمل اسم (النفير) كان يصدر في باكستان، حيث كان قاعدة رئيسية للمجاهدين الافغان. وعندما رجع هؤلاء الاشخاص الى كوردستان، في عام ١٩٨٥ والسنوات التي تلتها توحدوا في مابينهم وعقدوا تحالفات، وفي عام ١٩٨٦ اصبحوا حزباً يسمى اليوم بحركة التوحد الاسلامي في كوردستان العراق.

وفي عام ١٩٨٨ كانوا قد اكتملوا وتوزعت كوادرهم منعزلين في مقرات عدة، واقول منعزلين ومتكاتضين لانهم بعد هجوم امريكا عام ١٩٩١ على العراق كأعضاء وكوادر ونتيجة لبعدهم عن واقع القضية الكوردية، اصابهم الذهول ولم يكونوا ليعرفون اي موقف سيختارونه، هل كان عليهم تأييد هجوم التحالف على العراق ام يقفوا ضده؟ حيث بين الكفر والايمان ايدوا العراق، والى اخر ايام الحرب واحتمالات بقاء صدام وعدم استسلامه، ظهر تحالف متين بين جميع الحركات الشيعية ضد العراق، الا انهم في كوردستان والى ذلك الوقت لم يكونوا ليعرفون ماذا سيفعلون، وما بدر منهم

اي موقف، لماذا؟ لانهم لم يكن لديهم تجربة سياسية وهدف وطني واضح و معين، ولم يذكروا في منشوراتهم انذاك الوضع في كوردستان ولو بكلمة، وعدم اكتراثهم واهتمامهم بالقضية الكوردية يرجع الى ان الكورد لم يكونوا جزءاً من البرنامج الفكري للحركة الاسلامية في كوردستان.

وفي تلك السنوات ظهرت كوادر جناح الاتحاد الاسلامي حيث بعد الانتفاضة جاء الاتحاد (يككرتو) الى كوردستان كمنظمة اغاثية، وقبل الانتفاضة كان لهم كوادر بين اللاجئين الكورد في ايران، الا انه لم يكن تياراً واضحاً علينا، لذا لا يمكن لأحدنا ان يعرف بسهولة ماذا كان يتضمن فكر الاتحاد (يككرتو) قبل الانتفاضة، حيث كانوا كذلك من ناحية التنوير الاسلامي ايضاً، انه توجد هنالك كوادر تحمل الفكر الاسلامي و بتاثير الاخوان المسلمين لا تؤمن بالمواجهة المسلحة وتعتقد بأنه يجب في البداية ان تبدأ بالأصلاح ومن ثم اللجوء الى الجهاد، كذلك كان يرى فيهم عدم ايمانهم بالتحزب ايضاً.

وفي كل الاحوال كانوا كمثل الاتحاد (يككرتو) اليوم، حيث لم يكونوا ظاهرين و مكشوفين، وكلنا يتذكر بأنهم بعد الانتفاضة بدأوا بالعمل تحت مظلة الاغاثة الاسلامية، والأسم الذي جمعهم لم يكن واضحاً لدى كوادرهم و اعضائهم، و لم يكونوا ليعرفون ماذا يعني ذلك والمظلة التي جمعتهم لم يكونوا سواسية في ايمانهم بها، عندما يأتي احد على الحركة السياسية الاسلامية في كوردستان، انما يعني ذلك جناحين: الأول يتمثل في جناح متطرف بأسم حركة التوحد الاسلامي في كوردستان العراق (يكبون)، اما الجناح الثاني فهو الاتحاد الاسلامي (يككرتو)، وكلاهما لا يملكان تأريخاً في الكفاح السياسي يشهد لهما، لذا يجب ان يعاملا كحزبين ظهرا في فترة ما بعد الانتفاضة ليس الا.

نشأت ظروف في كوردستان بعد الانتفاضة هيأت الفرصة امام جميع التيارات لتشكيل الاحزاب.

حيث استغلت فقط من قبل المتطرفين الاسلاميين.

والسياسة العسكرية التي تتبناها حركة التوحد الاسلامي في كوردستان اليوم، لو كانت تملكها قبل الانتفاضة وشاركت في الكفاح المسلح ضد العدو المحتل، لكانت الان دون شك ذات تاثير وثقل عندما مقارنه بما ليها الان من تاثير، ولهذا عندما ندخل معهم في حوار، نجد بأن منظريهم وكوادرهم لا يملكون نفساً ثورياً، ولا يشعرون بشيء اسمه التفاخر بنضال خاضوه في كوردستان كتيار ثوري حتى يولد لديهم القناعة بأن يكون لهم موقعاً سياسياً، ولهذا السبب لا ترى عمقاً في حواراتهم السياسية و يقولون فقط بأن وجودهم ليس الا امراً واقعاً، حيث يرجعون دوماً الى المقدسات الدينية التي جعلوا منها ايديولوجيا ومنهاجاً لأحزابهم وهم بكل يسر وسهولة ينقلون نماذج العنف التي متبعة في افغانستان وموجودة لدى الجماعات المصرية.

ان حركة التوحد الاسلامي في كوردستان العراق لا تملك مشروعاً فكرياً سياسياً واضحاً ومعيناً، واذا اردنا تعريفها، يمكننا القول بأنها تتكون من اشخاص واقعين تحت تاثير الفكر السياسي السلفي، وهم رد فعل تجاه التقدم الحاصل في منطقة الشرق الاوسط، وكذلك ازاء التقدم السياسي والاجتماعي في كوردستان.حيث يمكننا القول بانهم تيار داخل المجتمع الكوردي لا يطيقون ما يحصل من تقدم، ولديهم حزب يلجا الى المقدسات الدينية بغية ايقاف التحولات، وعندما ينظر الى المقدسات الدينية من الوجهة السلفية يؤدي ذلك بسهولة الى نشوء التطرف والعنف والارهاب.

والسؤال هنا: لماذا يجب تعريفهم هكذا؟ لأنه عندما نقرأكتاباتهم، نرى

بأنهم لا يخرجون عن فترة الخلفاء الراشدين الاربعة ولا يأخذون بالجانب الاخر من تأريخ الفكر للتجربة الاسلامية، وانا متيقن بأنهم لو كانوا قد اخذوا بكل ذلك التاريخ لاضحوا شيئاً اخر وفي حال عدم خروجهم عن تجربة ومقدسات الدين (القران و الاحاديث النبوية) وتجربة حكم الخلفاء الراشدين الاربعة، سوف يتسنى للسياسيين الاسلاميين أن يفسروا القرآن والاحاديث والتعاليم السياسية والاجتماعية على مشيئتهم وهواهم، وهذا يؤدي بأن لا يتعمق سياسيوهم في التفكير، وهذا الشكل هو الوسيلة المتاحة شكل أكبر لتيار يريد ان يفكر مظهرياً، ولهذا نرى بأن الحركات الاسلامية المتطرفة تتعرض الى التصدع والتشرذم بسهولة، وعندما تختلف على مسألة صغيرة سواءً أكانت داخلية حزبية او خارجية، فهي لا تملك تراثاً فكرياً خاصاً بها تستطيع ان تلتف عليه، وكمثال عندما حدثت المواجهة بين الحركة الاسلامية والاتحاد الوطني الكوردستاني نرى بأنها تعرضت الى اول انشقاق، وعندما وقعوا في خلاف مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني دب الشقاق فيهم وظهرت من بينهم ثلاثة احزاب، مواجهاتهم مع الاتحاد الوطني في الاونة الاخيرة (٢٠٠١) سوف يترك عليهم اثاراً مدمرة، والتدخلات الايرانية مع التغيرات الحاصلة في العالم وعلى وجه الخصوص الذي مع التغيرات في افغانستان بعد زوال الطالبان انما يعرضهم الى هزات عنيفة اخرى.

والجناح الاسلامي الاخر في كوردستان هو الاتحاد الاسلامي (يككرتو)، وهذا الحزب ليس بمنظمة سياسية فحسب. بل انه يمثل التيار التنويري النهضوي للاخوان المسلمين و ينظرون الى المشروع الاسلامي في المنطقة بتعمق اكثر، وعندما اقول بتعمق اكثر، اعني بأنهم بحثوا تأريخ الاخوان كحزب وكفكر، وعلى الرغم من انهم لا يملكون ماضياً طويلاً من

ناحية تاريخ الفكر في كوردستان، الا ان لديهم طاقة لا بأس بها فيما يخص مسأله القضايا الفكرية السياسية ومشروع التنظيم الاجتماعي و مسألة حقوق الانسان والعمل السياسي، وبأعتقادي ان خطوات الاتحاد (يككرتو) مؤثرة اكثر من الحركة الاسلامية.

عندما يفسر الاتحاد الاسلامي المجتمع وفقاً للمنظور الاسلامي، نراهم يذهبون أكثر بعداً من التيار الاخر الذي لا يتخطى السلفية، الا انهم لا ينفصلون عنهم في القواعد العامة، ولهذا نرى بأن موقفهم لا يختلف ازاء واقع الاسلاميين في العالم، والذي يميزهم فقط هو خصوصية شكل التعبير لديهم، وفي ادبيات الاتحاد (يككرتو) لا نرى انتقاداً موجهاً لحكومة الطالبان، والطالبان في نظرهم أنموذج اعتيادي لسلطة الاسلاميين، وهذا دليل على وجود الستراتيجية المشتركة التي تجمعهنم مع الحركات المتطرفة الاخرى، وانشغلوا مدة بتجربة السودان معتقدين بأنها مكسب وانجاز من الممكن ان يتطرفوا اليها كي يجنبوا انفسهم الحديث عن مسألة الطالبان وأفغانستان، وكان شغلهم الشاغل الخوض في آراء حسن الترابي، ولم يكونوا قد انتهوا من ذلك النقاش، والحكومة الاسلامية السودانية انقسمت عى نفسها وبدأ وا حملة الاعتقالات ضد بعضهم البعض، والان يكاد السودانيون يتراجعون رويداً عن الفكر الاسلامي والاساليب الاسلامية التي اقترفوها حيث ان تنظيمات الاتحاد الاسلام هي اكثر الاماكن ملائمة لتنشيئة اشخاص متطرفين اسلاميين، ولهذا نرى علاقة متينة بين الاتحاد الاسلامي والحركة الاسلامية على المستوى الجماهيري، وهما ينسقان دائماً بينهما ولا يقدمان على نفي احدهما الاخر على الاطلاق ومن احد الاسباب التي أدت الى تعرض الحركة الاسلامية في كوردستان الى هذا الخلاف هو ارتباطها

بالجمهورية الاسلامية الايرانية، حيث أنها الى الان تعمل بمعاونتهم، هذه اول مرة يحدث لحركة سياسية سنية تخدم سياسة دولة شيعية، والحركة هذه لم تستطع ان تتعامل معاملة مقبولة وناجحة في ظل الظروف السياسة للمنطقة، لذلك فرض عليهم نوع من الضغط من قبل الاخوان المسلمين والتيارات الاسلامية الاخرى في مصر والخليج.

وتفاصيل فرض هذه الضغوطات انما تظهر على سلوكهم وتصرفاتهم، وكانت هنالك حالة اخرى من هذا النوع، الا انها استطاعت ان تنقذ نفسها، حيث كان الافغانيون، الذين فصلوا انفسهم بسهولة عن الجمهورية الاسلامية الايرانية و واجهوها، وحلفائهم المعارضين ايضاً في شمال افغانستان لم تبق لهم اية علاقة تذكر مع الجمهورية الاسلامية، لكن الذين هنا (الحركة الاسلامية نفسه، واعتقد بأن هؤلاء لا يستطيعون ان يعبروا عن افكارهم وآرائهم بشكل صريح و واضع كما الحركات الاسلامية في كشمير و مصر وسوريا وباكستان، لماذا لايجرأون؟ ولماذا لا يستطيعون؟ بأعتقادي اذا فعلوا ذك سوف يقعون تحت الضغط السياسي المباشر للجمهورية الاسلامية، ولهذا السبب نرى بأن الحركات الاسلامية السنية في كوردستان والتي هي على نهج الاخوان المسلمين لم تخرج عن فلك أيران الشيعية، فلو لم يكن هذا الارتباط اللامذهبي، لكان تأثير الحركات الاسلامية في كوردستان اكثر مما عليه الان.

توجد في ايران جمهورية اسلامية، ولها توجه خاص وفقاً للمنظور الشيعي ازاء هذه المرحلة، الايرانيون تمكنوا وفي مجالات عدة من انجاز الكثير ولم يتخلفوا عن الركب، لكننا لا نرى خطاباً في الدعاية الايديولوجية للاسلاميين في كوردستان يتناول تجربة ايران، فالاسلاميون لدينا لاينقلون تجربة ايران لانهم لا يؤمنون بها، ونوع تعامل ايران مع

الاسلاميين في كوردستان لا يتعدى حدود العمل الامن، وهذا الصراع لم يكن يخدم تطور الحركات الاسلامية في كوردستان ابداً.

وسبب آخر لتنامي الحركة السياسية الاسلامية في كوردستان هو ضعف السلطة السياسية انذاك، ففي اقل عن اربع سنوات (١٩٩٠ _ ١٩٩٣) تعرض كوردستان الى ثلاث ازمات: الاولى كانت انهيار القطب الشيوعي نتيجة للبروسترويكا، فهذا الحدث العالمي احدث فراغاً ايديولوجياً داخل الحركة التحررية الكوردستانية برمتها، تلك الحركة التي كانت وعلى مر تأريخها ترى بأن القطب الشيوعي بالرغم من كل نواقصه تعادي الامبريالية وتساندحرية الشعوب، فذلك المعسكر السياسي الاشتراكي الذي كان يدعم الشعوب، خرج من الميدان.

اذا كان لدينا اطلاع حول التاريخ الفكري للحركة التحررية الكوردستانية، سنفهم بأنه حينما حدث ذلك الانهدام الفكري، ادى الى خلق ازمة ايديولوجية، وسابقاً كان يقال بأن خصوصية فكرنا القومي تكمن في انه يكافح من اجل تحرير كوردستان، لكنه من الناحية الاجتماعية له توجه اشتراكي، والان انتهت الاشتراكية، والظروف التي كانت سائدة في المجتمع الكوردستاني (الامية، بقاء حكومة دكاتتورية محتلة و وجود حكومة اخرى دينية في جوارنا) ادت الى عدم تمكن الحركة السياسية في كوردستان من الوصول الى مصادر الفكر الجديد كي ينهض بسهولة من جديد، وبهذا سادت تلك المرحلة ازمة خانقة.

والازمة الثانية كانت في مرحلة تسمى ببداية النظام العالمي الجديد و بروز مفهوم العولمة، حيث شهد العالم تقنيات الاتصال التي سرعان ما ربطت العالم بأسره، حيث تطور التواصل و مسأله الديمقراطية بشكل جديد، وكنا انذاك نحتاج الى سنوات كي نفهم هذه المفاهيم الجديدة، لاننا

لم نكن نفهمها كما الان.

والأزمة الثالثة كانت تخص ادارة حكومة كوردستان والتي تعرضنا اليها بعد التحرير: تم اجبار سلطة المحتل كي تنسحب من كوردستان، حيث وقعت السلطة الوطنية بيد الحركة التحررية الكوردستانية من دون اية استعدادات تذكر لأدارة الحكومة، والجبهة الكوردستانية انذاك لم تكن تملك اية سابقة وتجربة لادارة وتسيير السلطة الادارية، والفوضى التي سادت كوردستان اعوام (١٩٩١- ١٩٩٥)، كذلك الحصار المفروض على العراق و كوردستان، هذه كلها خلقت ارضية ملائمة لتنامي وتور الحركات الاسلامية، والتاريخ اظهر بأنه متى ما حصلت ازمة فكرية في اي مكان، يلجا الناس الى الدين كوسيلة للتفكير والتأويل، والدين دائماً في خلاف مع العصر اذا فسر الانسان و المجتمع على هدى من المنظور الديني، لان الدين لاتوجد فيه اية ادوات تذكر يتم تأويل مستجدات الحاضر بها.

واليوم، ان التيار المتطرف للحركة السياسية الاسلامية في كوردستان يتجه نحو الانهيار والزوال، لانه لم يستطع وبأسلوب حزبي ان يخطو بمرونة وسلام، وعاقبة هذه الحركات تتجه على نحو تزيد من وتيرة تطرفها على شاكلة (جند الاسلام)، وبهذا يغدو جزء من جماهير هذا الحزب فريسة للأتحاد الاسلامي ينضمون اليه.

ففي كل الاحوال وكيفما ينظر اليه، لايستطيع هذا الحزب ان يتخطى اطار مسلحيها وتتطور، لذا نرى اليوم في كوردستان، بان واقع الحركة الاسلامية له واقع عسكري اكثر مما هو واقع فكري سياسي وتنظيمي، وهذا لا يحظى بمستقبل نير و مدبر بالنسبة اليها، ومما لاشك فيه سوف تتفرق وتنتشر بين اوصال مجتمعنا كعناصر متطرفة، ومن المحتمل ان تغدو تهديداً من الناحية الامنية.

اما الجناح الاخر الذي هو الاتحاد الاسلامي، فلديه سياسة الزحف بهدوء والتسلل الى داخل المؤسسات، فهؤلاء يجهدون انفسهم، وكماهو ظاهر هناك نقاش ولد حديثاً داخل الاتحاد الاسلامي حول الفكر القومي ومسألة استقلال كوردستان ، ومن الجدير بأن يتم جذبهم الى النقاش، لانه امر حسن لو يتجه الاتحاد الاسلامي نحو الفكر القومي، لذا فمن الضروري ان يبدأ النقاش معهم ويتم جذبهم نحو الموقعية القومية، فلو اقتربوا من المواطن القومية، عندها لا يعد بأمكانهم البقاء داخل مواقعهم الفكرية المغلقة، وبهذا فتركهم جانباً يغدو امراً خطيراً.

انا متأكد بأن المستوى الثقافي والسياسي للجيل الجديد في كوردستان متدني الى درجة وقوعهم في شرك الاتحاد الاسلامي، واذا كان الاتحاد يملك اليوم موقعاً وموطأ قدم في الجامعات، فهذا دليل على ضعف وتدني المستوى الثقافي لطلبة الجامعة، التنافس الفكري و السياسي هزيل في كوردستان، والمراكز التي تولي الاهتمام بالقضايا الفكرية خاوية وهشة، حيث والى الان لم تفكر حكومة كوردستان بهذه المسائل وكذلك الجامعات لم تضطلع بدورها، وحتى الرأي العام الطبع والنشر باللغة الكوردية واللغات الاخرى التي ينهل منها القاريء الكوردي زاده المعرفي في بدايتها، والصحف والمجلات الموجودة الان لا تتخطى اعمالها الفكرية حدود خطاب الموقف السياسي، وهذه لا تستطيع ان تلعب دوراً كبيراً ومؤثراً في خلق المنافسة الفكرية في كوردستان.

كان لدينا في مؤسسة كولان الثقافية والاعلامية نقاش مع الاسلاميين لمدة عام واحد، الا انهم كانوا يختبأون ويتهربون منه، ولم يبدوا اي استعداد لذلك سواءً كان ذلك بالكتابة او الحضور، حيث كثيراً بما لديهم من مشروع فكري وسياسي، فمنظر من الاتحاد (يككرتو) لا يستطيع ان

يجلس قبالة ديمقراطي ويدافع عن المشروع السياسي لحزبه.

فـأذا وجـد الامـان لاجل عـمل التنشـيط الفكري في كـوردسـتـان وسـاد اللجوء قليلاً الى القانون، او تم اطلاق ايادي المؤسسات الثقافة ودخلت في حـوار بينهـا ومن ثم تنشـر هـذه الحـوارات (ولا أقـصـد بـهـا الجـدال بين مثقـفين اثنين او سياسـيين اثنين، بل اعني نشـر الكتب)، اعتقـد حينذاك يبدو من السهل جداً دحر تيار الاتحاد الأسلامي.

المواد والمقدرات التي لدى الاتحاد(يككرتو) ليست فقط عبارة عن مؤيدي هذا الحزب، لانهم يتعاملون سـياسـياً مـع الصـراع والتنافس الفكري في كوردستان، لذا من الضروري ان تتعامل حكومة كوردستان معه ايضاً تعاملاً سياسياً، وهو منع كل المقدرات والسبل التي يوظفها الاتحاد في الصـراع الفكري داخل المجـتـمع الكوردي، وكمـثـال لماذا يجب ان يكون المسجد في خدمة كوادر الاتحاد الأسلامي، فهم يتعاملون مع المسجد ما يتعامل اي حزب مع قاعة فرعه التنظيمي. الحركة الاسلامية كانت في البداية تستخدم المسجد للتدريبات العسكرية، والاتحاد كان يدافع عنها، والمجاميع المتطرفة الاخرى كقوة احتياط لنفسها، كي يخيف الناس بها ويسـتـخـدمـها في الصـراع السـياسـي، واذا تسنى لهم ذلك يوماً، سـوف يستخدم الاتحاد تلك المجاميع لغرض المجابهة العسكرية ايضاً، واقوله بكل تأكيد بأن العنف هو عاقبه كل حزب اسلامي، وهناك ثمة تشابه بين اسلوب العـمل الحـزبي للشـيـوعـيين والاسـلامـيين وهو انهـمـا حـزبان ايديولوجـيـان، و الاخـتـلاف بينهـمـا انما يكمن كـمـا يقـول برتراند رسل: الشيوعية هي دين الحادي، بينما الاسلاميون يتحدثون عن عبادة الله، والايدويولوجيات كيفهما اتفق تخوض الصـراع وتتحرك على نفس المنوال للوصول الى السلطة السياسية.

فالشيوعيون كانوا يؤمنون بدكتاتورية البروليتاريا، اي هنالك حاجة لوجود سلطة دكتاتورية كي تفرض ايديولوجيتها على المجتمع.

ومرحلة الجهاد في فكر الاسلاميين هي تلك المرحلة التي يسمونها الشيوعيون بدكتاتورية البروليتاريا، اي ان الجهاد هو دكتاتورية الاسلاميين المتطرفين ليفرضوا عقائدهم السياسية والاجتماعية على المجتمع، ولدينا تجارب عملية معهما، فالاتحاد السوفيتي هو أنموذج الشيوعيين وأفغانستان طالبان هو أنموذج الاسلاميين، وايران هو أنموذج آخر لتجربة فرض الايديولوجية الاسلامية لكن على طريقة الفقة الجعفري مع بعض من خصوصياته، والثورة الاسلامية في ايران على الرغم من كل الظروف التي خلقتها دكتاتورية محمد رضا شاه، جاء خميني وقاد هذه الثورة بشكل سلمي كمهاتما غاندي، حيث حصل ولأول مرة ان تنتصر حركة اسلامية دون ان تطلق رصاصة واحدة. ولو حدثت هذه الثورة في باكستان او افغانستان او اية دولة غير شيعية لم تكن لتنتصر كما حصل في ايران وان هذه الحالة سوف لن تتكرر ايضاً. ان بدايات سلطة الشيعة ظهرت في التكايا، حيث تم تأسيس الدولة الصفوية على يد الشيخ صفي الدين الاردبيلي و أجداده وفقاً لقاعدة التصوف ومن ثم فرضوه عنوة وبالقوة على جميع انحاء ايران.

وجدير بالقول، بأن تأسيس الجمهورية الاسلامية وتسلم السلطة ادى وبعد شهر الى ان يتراجع الامام عن شكل ادارته للحكم ويعود الى نهج وطريقة الاخوان المسلمين، فهذه الجمهورية بين اعوام ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٩ كانت تسير على نهج عنيف جداً، ولو لم تكن ايران تمتلك هذه الثقافة الغنية لما تحملت كل هذا العنف.

فحضارة ايران لها تجربة ثرة من حيث صهر الثقافات المفروضة عليها

في بوتقتها، وكمثال حينما قدم اسكندر المقدوني، عمل الايرنيون على صهره فيما بينهم، وعملوا ذات الشيء مع الاسلام والمغول. حيث يقول خاتمي بأنه تبنوا الاسلام بالشكل الذي يريدونه هم، اي انهم جعلوه شيعياً، والان يريدون ان يغيروا ثورتهم وبدأوا في ظل حكم الثورة الاسلامية يتحدثون عن المجتمع المدني والديمقراطية، اذاً هذه خاصية الايرانيين ولايجوز لنا ان نعيد بها الى الحركات الاسلامية، ولهذا نرى بأن الاسلامين هنا لا يتطرقون الى تجربة ايران ان فصل الدين عن الدولة في كوردستان عمل في غاية السهولة شريطة ان يكون لنا حكومة وطنية موحدة في كافة ارجاء كوردستان، حينذاك بأمكان الشرطي ان يكون ذو سلطة داخل المجتمع و يقلل من الظواهر التي تنتقص يومياً من سلطة الحكومة ومن ثم ان تنتفي هذه الظاهر، بدءاً بالتي تبدر من سلطة الاحزاب و وصولاً الى العشائر الحاملة للسلاح والمغامرات القبلية، فلو تمت معالجة هذه الظواهر وتوحدت حكومة هولير والسليمانية على اتم الوجه، لتمكنا ان نفكر في تدشين مؤسسات مدنية وقانونية وان نرسم بسهولة حدوداً بين المقدسات الدينية والمؤسسات القانونية والمدنية.

هذا المشروع يحتاج الى توضيحه داخل المجتمع، ويجب العمل على افهام الناس بأن هذا لايعني ابعاد الدين عن الحياة الاجتماعية، بل هو وضع حدود كي يكون هنالك اختلاف بين ابعاد الدين عن المؤسسات القانونية و بين علاقة الدين بالمعتقدات الاجتماعية، و وطننا سوف لن يتقدم اذا هوجم الدين أو تم التعرض اليه، لأن فصل الدين عن الدولة في كوردستان اليوم يعتمد الدين كمصدر فكري وقانوني للتقدم الاجتماعي.

ومما يؤسف له، نرى بأنه في ظل تأثير الصراع السياسي في كوردستان، تكاد قوانين البرلمان وقرارات الحكومة والأوساط الحزبية في

كثير من المرات ولدواعي منافسة الاسلاميين، تكاد ان تتنازل عن الحد الادنى للقواعد والأسس فيما يخص سن القوانين والفكر والتنظيم الاجتماعي، حيث نراها تستسلم اكثر لقواعد الاسلامين الايديولوجية، وهذا عمل في غاية الخطأ، وكأنهم بهذا يريدون جر الاتحاد الاسلامي الى الموقعة القومية وجعل الفكر القومي لديه طاغياً كي لا يستطيع البقاء في موقعه الاسلامي المغلق، والعكس هو الصحيح ايضاً، فلو تحركنا نحن كنتيجة للصراع نحو موقعيته، هذا ايضاً بمثابة انتصار ايديولوجي لأسلاميي كوردستان، لذا يجب الدقة في مجموعة واجراء النقاش عليها بكل هدوء وتروي، كي يغدو ممكناً معاونة السلطة الوطنية وابعادها عن هذا الخطأ.

وفي جانب آخر، فالمجتمع المدني وسيادة القانون في كوردستان لايعني انتصاراً للنهج الالحادي، حيث يكاد الاسلاميون يثبتون مفهوماً بأنه لو لم يكن النظام اسلامياً، فهو يكون علمانياً بالنتيجة، وعدا هذا، فهم يفسرون العلمانية بأنها تعني الالحاد، ودعايتهم هذه لمحض تغرير وتحايل، فهم الذين كانوا في فترة تأثير وهيمنة الايديولوجية الشيوعية داخل الحركة القومية يقولون بأن الالحاد يحظى بالأولوية داخل الحركات القومية بدلاً عن الدين، حيث كان الشيوعيون والتيارات التي كانت قريبة من افكارهم يحملون رؤية مادية ويعتقدون بأنه يجب على المناضل الحقيقي ان يكون قبل كل شيء ملحداً حقيقياً، لكن هذه الوجهة قد منيت الهزيمة والفشل عملياً وظهرت بأنها على خطأ، حيث من الممكن ان يكون المرء مؤمناً و ديمقراطياً ايضاً، فهذه مسألة متعلقة بالفرد، وفي كل الاحوال من الممكن لدور الدين ان يكون ايجابياً في المجتمع شريطة ان لا يؤخذ به كمصدر للتقدم، لأن الوظيفة الاجتماعية للدين تنتهي بضمان مراسيم العبادة حيث انها تخص الفرد وليست لها اية علاقة بالتغيير الاجتماعي وعندما تتطور

المؤسسات المدنية ويرتقي النظام الديمقراطي، حينئذ يجب دعمها ومساندتها، لأن وطننا لايملك اي استعداد لتبني الديقراطية في مجالات التقدم الاقتصادي والنضج الاجتماعي وكذلك تربية وتنشئة الاجيال، فليس لدينا اية تجارب في هذا الجانب، لذا فنحن مضطرون ان نأخذ بالنظام الذي نريده ونبدأ به من الفه وبائه، اذاً كيف يمكن مساندته؟

فعندما تستطيع الحكومة ان تضمن هذه المساندة، ويكون المواطنون جميعهم سواسية امام القانون وأن يتم مسائلة الافراد من قبل القانون، لا ان تضطلع الاحزاب والمراكز الدينية بهذا العمل، لكن الذي يجري الان هو على العكس تماماً، حيث يتم مسائلة المجتمع والفرد والاتجاهات من قبل الاشخاص والمراكز الدينية والاحزاب، وهذا الاسلوب ادى الى خلق حالة سيئة في كوردستان، وان هروب الجيل الجديد في كوردستان يرجع الى هذا الواقع السيء، فالقلق من الواقع السياسي و ضبابية مصير الوطن وانعدام فرص العمل ليس هو السبب الوحيد لهجرة الجيل الجديد، لذلك ان الجيل السابق الذي هو نحن ونكبرهم عمراً، نفكرافضل في المستقبل السياسي مقارنة بالشبان الذين يتراوح اعمارهم بين ١٨ الى ٢٥ سنة، لذا يبدو واضحاً بأننا في بعض الاحيان نسوق بتريرات لنواقص انفسنا.

ومن الاسباب الاخرى التي من الممكن ان تسرع من خطواتنا لبناء مجتمع شبه مدني، هو ضرورة الارتقاء بتراث العراق من حيث تسيير الادارة والحياة السياسية والتفكر الاجتماعي، كذلك تعامل الاحزاب مع بعضها، والمسألة القومية، ومسألة الاقليات والنظر الى دور المرأة و مسألة اعطاء الحرية حتى للرجل و جعله امراً معقولاً، فمنح الحرية للرجل هو مسألة مهمة وسوف اتناوله، فأعطاء الحرية ليس بالمعنى العادي، لكنه يعني بأن يكون للانسان حياة طبيعية، كي يكون بمقدوره التعبير عن ذاته

في المجتمع، حيث يجب ان يفكر وفقاً للواقع الاجتماعي وكيف ان الرجال هم نصف المجتمع ويخظون بالحرية كي يكونوا قادرين على الابداع في اداء عملهم، ومن ثم العمل على تحرير النصف الاخر للمجتمع الذي هو المرأة، فمنظور المجتمع الكوردستاني ازاء قضية المرأة هو نظرة متخلفة وساذجة، فعندما تقول بأن المرأة تريد الحرية، يذهب تفكيرهم مباشرة الى الجنس، فالمسالة ليست كذلك والجنس انما هو جزء خاص في حياة اي انسان، لذا يجب ان تتغير نظرة مجتمعنا لقضية المرأة، يجب ان يكون لنا برامج اقتصادية طويلة المدى، كي تتمكن المرأة بعد اكمال الدراسة او دون ذلك بأن تعمل، وحينذاك فأن المرأة التي تعمل وتقرأ تعطي لنفسها المجال بأن تشارك في الحياة السياسية والمجالات الاجتماعية الاخرى، وهذا سوف لن يتحقق شكلياً، لأن النظرة السائدة متخلفة وبالية ويجب العثور على طرق ملائمة لضمان مشاركة واشراك النصف الاخر للمجتمع، لذامواقع المجتمع الكوردستاني هو على النحو الذي أصفه: نصف المجتمع، الذي هو المرأة قد تم تهميشه عملياً، واكثر من نصف عدد الرجال يشكله الشبان الذين يغادرون الى الخارج ولايرجعون، وربع الذين هم على شاكلتنا منشغل بالأدارة والسياسة و منقسم على جميع الاتجاهات السياسية (بسيئها وحسنها)، وجزء صغير منشغل بالانتاج الزراعي، وبناءاً على هذا يعيش مجتمعنا في ازمة، ولمعالجة هذه الازمة يجب تقوية الحكومة في البداية، ومن ثم الشروع في التفكير لكيفية معالجة هذه الازمة، حيث يجب التفكير رويداً رويداً في مسالة كيفية مكافحة وانهاء الفساد داخل المجتمع على مختلف جوانبه وصنوفه، الفساد داخل الحياة الحزبية، في العمل الاداري والحكومة، وان يتم اجتثاثه في الممارسة السياسية ايضاً، انا لا اقول بأن هذا سوف ينجز بسرعة وفي

وقت قصير، لكن مجرد التفكير في وجوب انهاء الفساد والقضاء عليه يؤدي الى معاينة مصادره، ففي ذلك الوقت تنفتح قريحة قوة وطاقات المجتمع للعمل، ولا توجد الديمقراطية في اي مكان اذا كانت الدولة فيه فقيرة، فالديمقراطية لا تسود في ظل الفقر، وفي دولة الفقر والبطالة حيث يكون فيها المنصب الحزبي او الحكومي معياراً للشراء، او ان يكون محل العمل والمثابرة هو الحصول على سيارة فارهة ومنزل فخم مع ثلة من الحراس، او ان يسود منطق (لا تعمل وأودع نقودك في بنوك خارجية)، بهذا لن تتحقق الديمقراطية ولا الدولة بالاستقرار السياسي، وبناء على هذه القاعدة الفاسدة في عمل المؤسسات، من غير الممكن اطلاقاً بناء حياة فكرية وسياسية و اجتماعية نظيفة وصحية.

يحدث الفساد في الديمقراطية لكنه لا يقوى على التطور والان في دولة منظمة لو حصل شخص على مليون دولار بصورة فجائية، فأنه لايدري ماذا سيفعل بالمبلغ، لأنه اذا وضعه في اي بنك من البنوك سوف يتعرض للمسائلة والاستجواب حول كيفية حصوله على هذه النقود ويفرض عليها الضريبة، اذاً للديمقراطية علاقة مباشرة بتنظيم وهيكلة المؤسسات والعمل، ومن احد اسباب تخلف بلدنا هو الكسل، حيث انه ليس بصفة جديدة بل له تاريخ طويل و بدأ مع تأسيس الدولة العراقية، العراق دولة مصطنعة عاشت على ايرادات النفط وحكمها العساكر، الذين عمدوا الى تسليح الناس وصرف اموال و مقدرات البلد على السلاح، فهذا غدا عرفاً و وصل الينا ايضاً، الى الحد الذي لا يفكر فيه الفلاحون في كوردستان في مجال الزراعة وانتاج صنوف جيدة، لأنهم يرون بأن هنالك القرار (٩٨٦) و يأتيهم الغداء عن طريق منظمة الغذاء العالمي (WFP)، لذا فما شأنهم بالزراعة؟ وهذه الحالة خلقت كارثة ثقافية كبيرة جداً والتي تؤدي

الى فقدان مجال الانتاج.

وعندما اقول هذا الكلام، فأنني اقصد اثبات ذلك الشيء بأننا لانستطيع ان نخلق الديمقراطية و ندحر الظواهر المتزمتة فقط عن طريق قرار من الحزب، ولايجوز ان يكون جل اندفاعنا هو اعتزازنا وحبنا للحزب الذي ننتمي اليه فقط، أو ندحر الحزب الاخر من اجل حزبنا، انني ارى عمقاً كبيراً في هذا الحديث لمسعود بارزاني الذي يقول: يجب ان نفكر في بناء وسائل مجتمع ديمقراطي في كوردستا على هدى من اسس النهج البارزاني.

اذاً يجب على الحزب الثوري في هذا الوطن ان ينقل ثوريته الى ميدان نضال بناء الديمقراطية، وهذا الميدان الجديد يحتاج الى استعداد وفكر جديد، يحتاج الى دقة اكثر ومراجعة المفهوم الفكري و السياسي ايضاً، كذلك يحتاج العودة الى ذلك النهج الأصيل الذي لازال يمتلك القدرة على التقدم، ذلك هو نهج الكورديتي المنسجم دوماً مع تقدم المجتمع الكوردستاني والذي صاغة مصطفى بارزاني.

فهذه ليست شعارات سياسية، ومن المؤسف حينما يتم ذكرهكذا حديث يعتبره الناس وكأنه من باب الدعاية، لأنه والى الان لا توجد مؤسسة في وطننا تاخذ على عاتقها تناول هذه المسالة.

كل الطرف يحتاج الى نقاش خاص به، وهنالك نوافذ للولوج الى داخل توجهاته ومن ثم تفكيكه وتعطيله، ومهمة تعطيل المتطرفين لا تعني دحر التطرف بالتطرف، واذا كانت كذلك عندها لا يسمى بالفضاء الديمقراطي، في السابق كانوا يقولون: العنف الثوري في مقابل العنف الرجعي الظلامي، لكن الان يجب ترك العنف الثوري جانباً، كي تأتي قوة الحكومة لتبارز التطرف، وكذلك كي يضطلع الفكر التقدمي بمناقشة ذلك الفكر الراكد الذي لا يملك جمهوراً واسعاً حتى.

الجزء الثالث

الاسلام السياسي، الدين، القومية

الحديث عن مفهوم الاسلام السياسي وتوضيحه، اجرى تلفزيون (الاسلام) حواراً مشتركاً جمع بين اكرام كريم عضو المكتب السياسي لحركة التوحد الاسلامي (يكبون) و سرو قادر مسؤول مؤسسة كولان للثقافة والاعلام، والذي تقرأونه هنا هي خلاصة لحوار طويل سبق وان نشر في كتاب الدينوالسياسة، وبعد تصحيح الاخطاء اللغوية التي وردت في الطبعة الاولى، سأعيد وضعه هنا ملحق لهذا الكتيب.

* سيادتكم كيف تعرفون الاسلام؟

اكرام كريم _ بسم الله الرحمن الرحيم، الأسلام السياسي هو اسم مركب من الاسلام والسياسة، الاسلام اذا عبرت عنه فهو يعتبر خاتم الاديان والذي بعثه الله الى البشرية عن طريق محمد، وكان لمحمد دوراً تنويرياً لهذا الدين، وفي هذا يظهر للاسلام مصدرين، القرآن وحديث النبي (صلعم).

ولكي تثبت اية مسألة كانت عليك الرجوع لهذين المصدرين فالقرآن كتاب يستهل بـ(الحمد الله) ووصولاً الى (قل اعوذ برب الناس) نزله جبريل من عندالله الى النبي (صلعم)، والنبي اوصله الى امته بأمانة، والصحابة ايضاً الى ان وصل الى يومنا هذا، وهذا هو الاسلام كشيء

معلوم، ولكن اذا اردت تعريفه، فهو عبارة عن مجموعة من الاسس التي تنظم العلاقة بين الله وعباده، وكذلك تنظيم علاقة العبد بالاخرين، اذاً فالاسيلام هو نظام روحي و تعبدي واخلاقي، وايضاً فهو نظام سياسي وحكومي واقتصادي وعسكري، فالمشكلة لاتمكن في هذا، لكن اليوم دخلت مسألة الاسلام السياسي وظهرت بين المسائل الاخرى وسلطت الضوء على مسألة مرتبطة وهي السياسة.

هل يحوي الاسلام السياسة ام لا؟ فهذا المفهوم ليس له علاقة بأن يكون الاسلام روحياً اوتعبدياً او يدفع بالانسان نحو الاخلاق والسلوك، لكن الملاحظة هي هل الأسلام في مقدوره كحركة سياسية ان تدير امور الناس ام لا؟ واذا بحثنا في احكام القران والسنة سنرى فيهم قوانين جديرة، اذاً الاسلام ينظم جميع مجالات الحياة.

* اذاً استاذ بهذا نستطيع ان نقول بأن الاسلام يحوي جانبين، الاول ينظم علاقة العبد بربه، والاخر ينظم علاقة الانسان بالافراد الأخرين؟

اكرام كريم: نعم.

* لو امكن تعرف لنا السياسة؟

سرو قادر: قبل ان اعرف السياسة، أود ان اقول بأن السياسة بمعناها العام هي توظيف كل الامكانات من قبل حزب سياسي او جمعية سياسية للوصول الى السلطة وتكييفها مع الاهداف التي يناضل من اجلها، فالسياسة مفهوم اكاديمي والمختصون في هذا المجال يستطيعون تناولها بكل دقة، ويهمني قبل البدء بهذا الحوار ان اشير الى مجموعة من المفاهيم،

كي لايحصل هناك ارتداد و خلط للمفاهيم التي اصبو اليها عندما تضيف لدي الدقة في سياق حوارنا، وقصدي من وراء مفهوم الاسلام السياسي ليس الدين الاسلامي المقدس، بل اعني به تلك التيارات السياسية التي وكأي حزب اخر تكافح من اجل الوصول الى السلطة داخل المجتمع وتحمل عين السلوك السياسي الذي يحمله حزباً آخر غيرهم، اقصد بالاسلام السياسي استغلال الدين الاسلامي لغرض العمل السياسي او استخدام الاسلام من قبل بعض الحركات السياسية في المجتمع من اجل الوصول الى السلطة عن طريق اللجوء الى قدسية دين المجتمع.

وقصدي من وراء مراجعة الاراء والافكار ليس مراجعة النصوص المقدسة للقرآن والاحاديث، لأن هذا ليس من اختصاصي.

* كم هو صحيح في نظركم اصطلاح الاسلام السياسي؟

سرو قادر: ليس لهذا الاصطلاح تأريخ طويل، ففي فترة نهايات تفكك السلطة الاستعمارية في الدول الاسلامية، ظهرت اراء سياسية لدى بعض الجماعات الاسلامية التي كانت تستنبط ايديولوجيتها من دين الاسلام، فبدل اللجوء الى مجموعة من الاهداف والافكار والاراء المعينة للمجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية كأي توجه سياسي وفلسفي آخر، هذه التيارات لجأت الى الدين الاسلامي المقدس وجعلت منه ايديولوجيا لنفسها، في الوقت الذي كان ذلك يمثل دين المجتمع، ففي كوردستان وقبل نحو الربعة عشر قرنا يمثل الاسلام ديناً للكورد.

الاسلام السياسي في نظري فيه نوع من الأستغلال، وهذا الاستغلال هو تجاه مقدسات شعب مسلم، فكل حزب سياسي صغير كان ام كبيراً ويحمل اي هدف سياسي ينتهي في صالح هذا الشعب ويريد ان يصل

الى السلطة، يستحق هذا الحزب حق الوجود شرط ان لا يهدد المصالح العليا للوطن.

وجانب آخر للقضية هو ان الاسلام يمثل دين مجتمعنا، فالاسلام هوالجانب الاكثر قدسية للحياة المعنوية والمادية للشعب الكوردي و مسألة أسلمته قد انتهت وهو الان شعب مسلم، اريد ان اسأل هنا، هل ان هدف الحركات السياسية الاسلامية اليوم في كوردستان هو أسلمه مجتمع مسلم مرة اخرى، هل هو أسلمه الكورد مجدداً، ام هدفها هو الاتيان بتفسير آخر للأسلام؟ ففي الحالتين، اعتقد انه بمقدور علماء الدين مناقشة هذا الموضوع، حول صحة مراجعة الدين الاسلامي او تفسيره ومدى امكانية تسمية هذه المهمة لصالح جماعة ما، ففي جميع الدول التي يسود فيها الاعتقاد بوجوب تسيير أمور الدولة بشكل طبيعي، يقال بانه لا يجوز لأي حزب ان يضع المصلحة العامة للوطن في خدمته، ومن بينها الدين والسيادة والاقتصاد، لماذا يقال بأن الاسلام السياسي كمصطلح ليس له اية شرعية؟ فهذا ليس من قبل انه من غير الممكن ان يكون الاسلام مصدراً للقانون وتفكير المسلمين، كلا هذا غير صحيح، فهو يعني مجيء حزب سياسي يحاول الوصول الى السلطة وهو يخفي ايديولوجيته خلف نصوص الدين المقدسة، لكن هذا يعتبر في عداد مقدسات شعيا. اي انك تأتي وتضع شعب في مقابل اية مقدس و تفسيره له على رغبتك، فعندما تأتي وتلجأ الى الاية والحديث من اجل العمل السياسي، حينذاك يتعامل معك اناس بحذر، وهذا راجع الى قدسيةالدين في مجتمعنا، وانا اعتقد بأن الحركات السياسية الاسلامية في كوردستان يتخذون الاسلام كايديولوجيا لحزب سياسي، ومن الواضح بأن الاهداف السياسية لاتقف في طريق الاصلاح والتفسير الجديد للدين الاسلامي لحياة المجتمع،

ولايجب الوقوف بوجه هذا بأي شكل من الاشكال، بل من الضروري ان تتخذ جميع قوانين المجتمع والاجراءات واساليب ادارة الدولة اولاً من الاسلام وتعاليمه الدينية المقدسة مصدراً، او ان يكون بينها وبين الاسلام تناغماً، ولايجوز لك ان تقف بالضه منه ابداً، فهذا الامر تم حسمه في كثير من الدول الاسلامية وعلى وجه الخصوص في وطننا نحن، فمن هذا المنطلق اعتقد بأن استغلال الدين وأدلجته من قبل حزب يعتبر تطاولاً عى مقدسات هذا الشعب.

* كيف تؤولون حينما يقال بأن هنالك خلف ستار الاسلام مصالح خاصة، عدا ما ذهب اليه الاخ سرو بأن مصطلح الاسلام السياسي شيء جديد، كيف تفسرون هذا؟

اكرام كريم: لدي ثمة ملاحظات حول كلام الاخ سرو، ان مسالة السياسة هي كلمة معقدة، وليس لها تعريف واضح كي يحكم عليها الانسان هل ان الاسلام سياسي بالفعل ام لا، فمسالة مصطلح السياسة هي كفن الممكنات، وعبارة عن كسب الرهان ازاء الذي في مقابلك في زمان ومكان موضوع من قبل الانسان نفسه، والبعض يقول بأن السياسة هي الكلمة عربية تأتي بمعنى قيادة شعب، اي انك تتقدم نحو نهج وقضية، تدفع بها نحو وضعية ما _ مثل (كان بنو اسرائيل يوسون بالانبياء) نحو الحضارة التي بنوها في التاريخ، فالانبياء ان عملهم قيادة الحضارة التي بنوها في التاريخ، والانبياء كان عملهم قيادة الشعوب، وبعض اخر يقول بان السياسة هي كلمة مغوية، حيث يقول (الامام المقريزي) الذي هو احد المؤرخين، يقول بأن اصل كلمة السياسة هي مغولية وأتت من القانون – وبعد ذلك غدت سياسة بمعنى القانون وحماية وتنفيذ القانون.

حينما يقولون بأن الاسلام السياسي او ان الاسلام هو سياسة وليس بمعزل عن السياسة، فالاسلام والسياسة عبارة عن كلمتين لم نقم نحن الاسلامون بالفصل بينهما، فنحن دعونا الى الاسلام، ومن ثم برزت المسالة السياسية، ونحن لم نقدم على ذلك الفصل و لسنا الذين نلفت الانتباه على جانبه السياسي، واذا فعلنا ذلك سوف نبديه في سياق الجواب والتوضيح.

ان مسألة السياسة عبارة عن بتني نظام اوايديولوجيا و نهج يعني ببني تلك الفكرة بغية الوصول الى السلطة السياسية، وبأيجاز هي تحريك الفكرة لمجتمع حتى توصله الى السلطة السياسية، فهذه هي التي تضفي النهج والايديولوجيا الى المسألة.

والشء الثاني يقول الآخ سرو: اذا دخل الاسلام السياسي الى الميدان السياسي فأنه سوف يضع العراقيل امام الناس، هو يتكلم عن المطلق، يتحدث عن الجمود و الحديث الذي يخشى الناس التطرف اليه.

نعم ان الاسلام دين، ومثله الاديان الاخرى التي تتضمن العلاقة السياسية ام لا؟ هل من المستحسن ان يتم تبني هذا التنظيم السياسي ام لا؟ بهذا الصدد سوف نلجا الى مذهبين،المذهب الاول يسمى بمذهب سقراط، حيث يمكننا ان نتوجه بمجموعة من الاسئلة.

الاول: شخص لا يؤمن بالاسلام السياسي او يرى بأن مجموعة من الحركات الاسلامية تحاول الوصول الى السلطة انه لا يؤمن بأن يكون الاسلام نهجه ومعياره في مجال عمله الحزبي والسياسي والثورة وقيادة المجتمع كالحديث الذي اشار اليه، اذا قلنا ان هؤلاء الاشخاص يؤمنون بالله او لايؤمنون؟ فاذا كان الشخص هذا يؤمن بالله، عندئذ ياتي السؤال الثاني من تلقاء نفسه، وهو ان الله قادر على وضع نظام يخدم مصلحة

الانسـان، فـالذي يؤمن بالله واضـح لديه هذا الشيء، امـا الـذي يقـول بعـدم قدرة الله على وضع ذلك النظام فهو لايؤمن بالله وبالاسلام، فاذا كان يؤمن بوجود نظام وان الله لم يخلق الانسان ليتركه يعمل مايشاء، لكنه وضع له قانون، هل ان ذلك القانون صحيح؟ ام ان ذلك القانون ينظم علاقة العبد والرب ليس اكثر؟ ولكننا متفقون في نقطة واحدة وهي ان الله وجود حقيقي، وهو الذي سن القانون و اولى الانسان برعايته واضعاً له الشرعية، لكنه يقول بان هذا القانون ليس الا علاقة روحية فقط لا كعلاقة سياسية او كقانون للحكم نحن كما قلت متفقون ولدينا راي واحد بان هناك اله واحد و وضع قانوناً، وبما ان هذا القانون وضع من قبل الله فهو صحيح، فاذا قلت بان الاسـلام الذي يحوي قـانوناً للحكم، يجب ان يكون قـداخـذ هـذا من الاسـلام بانه لا يحوي قـانوناً للحكم، واذا قلت بانه يحـوي قـانونا كـهـذا، حينئذ يجب ان اثبت ذلك بأن هناك الهاً وله قانون يفيد الانسانية كقانون للحكم، لكن هل يحق لنا بأن نأخذ بذلك القانون لدي الاختيار هل بأمكاننا ان لا نطبـقـه؟ هل من الممكن ان نتـفق بأن نطبق بعـضـاً منه بما يتـفق ومصلحتنا ونترك بعضه الاخر، هل هذا مقبول ام لا اذا كان كذلك، يجب علينا تنذاك ان نغير الحوار، لكن يبقى شيء، وهو انه مادام نؤمن بذلك القانون فاننا سوف نصل الى نتيجة، والا فلدينا اسلوب اخر، نأتي ونجري دراسة على طبيعة الاسلام، الاسلام الذي له مصدران وهما القرآن والاحاديث النبوية، ففي هذين المصدرين ذكر موضوع الحكم اكثر من مرة.

اولاً فيما يخص كلمة الحكم يقول الله (وانزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس) نحن الذين ارسلنا هذا الكتاب كمنهج للحكم بين الناس، اي انه سلطة سياسية واذا ما خالفه احد يجب ان نتخذ الاجراءات بحقه، كذلك يتحدث عن التوراة والانجيل بأنهما كانا يحويان الحكم في زمانهما، يقول

نبي الاسلام :"تنفصم عرى الاسلام، الاسلام عروة، عروة اولها الحكم واخيرها الصلاة". الاسلام يمر في فترة تجريبية ينفرط فيها عقده الى ان يتجرد من اثوابه، والعقد الاول الذي يتم تجريده منه هو الحكم والذي هو السلطة السياسية الى ان يؤدي ذلك بالناس شيئاً فشيئاً ليتركوا الصلاة ايضاً، فهذان شيئان مرتبطان احده بالاخر، والفصل بينهما انما هو ناتج عن عدم الفهم الحقيقة الاسلام وهذا ايضاً مسألة اخرى.

سرو قادر: اذا لم نناقش جميع ذلك سوف يضيع الكثير من الاشياء ضمن حوارنا هذا.

اكرام كريم: نعم، وملاحظتي الثالثة على كلام الاخ سرو هو قوله بأن الاسلاميين يتخذون الدين كستار، في الحقيقة كلامه هذا لايثيرني، لأن هذا الكلام مذكور في القران،والنبي ايضاً حينما يتحدث عن الدين يقو بأن الله ارسل الينا ديناً كي نلتزم به وفيه خيرنا، وفي هذا نرى رعاية الله للبشر، في حين ان الله العظيم هو الله ولو كفر به العباد جميعاً، حتى لو وقفوا ضده كلهم وأطلقوا القذائف نحو السماء ليست هنالك اية مشكلة، فهذا القول هو في مصلحة العبد والا فقد ذكر في القران: ان هذا الشيء يراد".

هنالك غاية اخرى من وراء هذا القول، فهذه الدعوة الى الاتحاد والدين والاسلام تخفي وراءها مجموعة من المقاصد، وهي تطبيق الاسلام، نعم صحيح، ان الحركات الاسلامية لم تأت كي تدعو المجتمع الكوردي ثانية الى الاسلام، لكنها جاءت كي تصيغ الحياة الكوردية على نحو اكثر من الاسلام، انها جاءت كي تتسلم السلطة، وحينئذ تثبت كم ان للاسلام فوائد للمجتمع، لأن قبل وصولها للسلطة اثبتت بأن لها تأريخاً.

* بدءاً من اصطلاح الاسلام السياسي حيث قلتم بأنه لايملك

تأريخاً طويلاً في القدم، لكن امتداد لسلطة الخلافة الاسلامية لسنوات طوال، اذالم يكن ذلك سلطة سياسية فكيف يمكن تفسيره؟

سرو قادر: الشيء الذي يهمني هو ليس في تفسير الايات والنصوص المقدسة للدين الاسلامي، وقد لا يهدف هذا البرنامج ايضاً الى ذلك وانا اعتقد بأن ذلك ليس بمهمة حزب سياسي كذلك، لأنه عمل يخص المؤسسات الدينية وعلماء الدين ومعاهد وكليات الشريعة، حيث هنالك محاولات في الدول الاسلامية لاناطة المهمة هذه الى كليات خاصة بهذا الصدد.

اعتقد بأن الذي يقوله الاستاذ اكرام هو ان الدين الاسلامي من الناحية التأريخية قد بدأ اولاً كسلطة سياسية، لكن بعد حوالي اربعة عشر قرناً حيث نشوء الجماعات الاسلامية، نرى بأن كثيراً من اهداف ذلك الوقت قد تحققت الان، فالدين الاسلامي يهيمن على مجتمعه الى درجة يستطيع عن طريق الاوامر والاصلاح والارشاد و مراقبة القانون وشؤون الدولة والحياة الاجتماعية والسياسية وحتى انشطة الاحزاب كذلك. يستطيع ان يشخص مواطن الخروج عن توجيهات الاسلام، كذلك اين يجب ان يضاف اليه شيء ويكون الاسلام مصدر تلك الاضافة، فهذه الاعمال ضرورية جداً، لكن هنالك شيء زائد، وهو انه في الدين ليس هناك حاجة الى الحزب السياسي، وليس الهدف هنا ان نرجع الى السياسة، بل القصد هنا هذا السؤال: هل صحيح وبعد اربعة عشر قرنا من الاسلام في المجتمع، لايسمح القانون بأن يعمل اي حزب او جمعية ثقافية اذا كان عمله يخالف الدين الاسلامي، هل في هذه المرحلة ايضاً هنالك حاجة لأن يكون تفسير السلطة والسياسة

والسلطة العسكرية للأسلام على شاكلة بأن يتم تأسيس مجموعة الاحزاب كالاحزاب السياسية الاخرى وتكون لها بطاقة العضوية ومكتباً سياسياً وأميناً عاماً، تكون لها معارضتها والانحراف عن مبادئها، انتم تعلمون جيداً بأنه لايوجد في الدين الاسلامي المقدس الرجوع عن المباديء، وليس هنالك التأويل المغاير لمقدسات الدين، وهناك عقاب ازاء الخروج عن جادة توجيهات الدين للمجتمع.

ومن جانب آخر، نعلم بأن حزباً سياسياً ومن اجل مصالحه يضع قدمية على كثير من مبادئه وبكل سهولة، انا اسأل الاستاذ اكرام سؤالاً واحداً: اذا اعتبر قتل الاخ المسلم في القانون الاسلامي جريمة، فهل يجوز للحزب السياسي الذي يكافح من اجل الاسلام ان يقفز فوق جثث اصدقاءه ليقبل قاتل اصدقاءه، كيف ذلك ان لم يكن حزباً سياسياً؟ فهذا الموقف يوجد لدى حزبكم والاحزاب الاخرى ايضاً، وانا لا ارى هذا انتقاصاً لحزبكم، بل ارى ان حزبكم والاحزاب الاسلامية سياسيون حد النخاع كأي حزب سياسي آخر لا يحمل اسم الاسلامي.

كيف تنظر الى المسلمين الذين هم منتمون الى حزبك مقارنة بالمسلمين الذين لايؤيدونك، كيف تحكم عليهم؟ هل تضع درجة اقل للذين هم خارج حزبك، لأن هؤلاء في نظرك لا يجاهدون، لكنهم يعتقدون بأنهم لم يخرجوا عن الدين، فاذا كانت صفوة المسلمين هم الذين يجاهدون في ظل حزب سياسي اسلامي، حينئذ يعد غالبية المجتمع كفرة، اذاً الهدف هو سياسي، وحينما اقول ان الجماعات الاسلامية ليست متحدة فيما يخص توظيف الدين الاسلامي، بذلك اود ان اقول بأنكم كالحركات الشيوعية التي كانت لها العشرات من المراكز والاتجاهات المختلفة، انتم ايضاً لاتجتمعون على منظور واحد في مسألة أدلجة الاسلام.

حسناً انت حينما تؤكد لشخص مسلم وهو عضو لديكم، وتقول له بأنه اكثر اسلاماً من حاج او ملا او متدين تربى في ظل الدين وترعرع في كنف عائلة دينية وانضم ذلك الحزب ماهو خلاف الدين، ولم يعمل بتوجيه من اجل ازالة الدين وخرق المقدسات الدينية، والان انت تقول له: كلا، الشخص الذي انتمى الى حزبي لهو اكثر منك اخلاصاً واسلاماً، انك حقيقة بهذا تريد ان تختصر العالم الاسلامي بكل عظمته وبعد قرابة يغدوا صغيراً مع كل مشكلة وأزمة سياسية، وعلى العكس ايضاً يكبر مع كل نصر سياسي، اذا كان الامر كذلك، فأن حزبكم قد واجه الدين وخرقه، حينما ذهبتم وعانقتم قتله شهدائكم، وانا لا اسمح لنفسي كي انظرق الى مقدسات الدين كما فعله الاستاذ اكرام، فهو مسؤول عما يقول، لكن مسألة السلطة والسياسة واستخدام العنف في الدين الاسلامي هي ليست بذلك المعنى ان ياتي حزب سياسي اسلامي ويتسلم السلطة، فالحركات التي نشأت وفقاً لقوانين الدولة يجب ان تعلم بأننا جزء من العالم الاسلامي، وهي ايضاً جزء من ذلك العالم الذي يعيش فيه الجميع، يجب علينا ان نتقدم كباقي الدنيا سواءاً شاءت هذه الحركات ام ابت، يجب ان يستفاد من ثمرات العلم والتكنولوجيا وتنظيم المجتمع التي فيها خير الانسان ولاتخالف المقدسات الاسلامية.

أذ يبدو طبيعياً في الجزء الذي نستطيع ان ننظم فيه حياتنا، واقصد به الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، طبيعي أن نغير فيها بما يتفق مع تعاليم ديننا، ولكن اذا كانت هنالك تغيرات، ارى بأن الدين ايضاً يتيح المجال للمظاهر الجديدة.

انت من جانب تضع الديمقراطية وكأنها بالضد من الخطاب السياسي الاسلامي، بينما نرى الملايين من المسلمين يعيشون في ظل هذا النظام

ولايشعرون بوجود انتهاك لمعتقداتهم الدينية، انا اعتقد، بأنه اذا كان ممكناً للنظام السياسي الذي يخدم المجتمع المسلم ومصالحه هو الشكل الافضل للسلطة في اية دولة اسلامية، وهو الطريق الامثل لحماية المكتسبات ايضاً، سواءاً كانت مصادرها مأخوذة من الدين الاسلامي او تمت تكييفها معه، وهذا هو الاسلوب الافضل لتطبيق حكم نبي الاسلام، لأن النهاية ايضاً هي في تطبيق القانون.

نحن نتحدث عن كوردستان، ففي وطننا حينما يتم المصادقة على قانون ينسجم ويتلائم مع الدين والتاريخ والمقدسات والثقافة وكل التوجهات ولاراء لشعبنا، نرى بان ذلك القانون هو قانون متوازن و معتدل، ففي هذا النظام الذي يسمى بالقانون الاسلامي والسياسة الاسلامية سوف يتم تطبيقه، وحماية هذا النظام لهي حماية فضلى للاسلام ايضاً وبخاصة لشعب مسلم يخطو نحو التطور، ولمن الخطأ اذا فهم شخص هذا بجهل، والآن سنأتي الى: حينما يقولون اذا كنا نؤمن بوجود اله واحد فمن المحتوم ان يعقبه قانون الهي ايضاً حسناً لماذا يجب ان يكون هذا التفسير في يد حزب سياسي، وحينما يجتمع مكتبه السياسي و يضع احكاماً طبقاً لمصالح الحزب؟ المشكلة تكمن في هذا، فهنالك تخوف وخشية من ان تتخذ الاحزاب من الدين ايديولوجيا لها، فأذا اتخذت الايات والاحاديث كايديولوجيات لنفسها، عندئذ يصعب على الناس مناقشة ذلك، انت تلاحظ حينما يتفوه احد بالكفر، للوهلة الاولى يهتز به الناس، ثم بعد ذلك يناقشون الأمر، لكن حزباً سياسياً يتكلم بأسم الاسلام من الفه الى ياءه، لان في احكام الدين يوجد المطلق والقدسية، وكوادر هذا الحزب يضفون المطلقية والقدسية الى سلوكهم السياسي، اذاً هذا الامر لايبقى للمرونة والاعتدال مجال كي يتكيف وتنسجم مع

الاشياءالجديدة. واذا لم تستطع ان تتلائم معها حينذاك تقف ضدها، والذي نراه الان لهو مبعث انتقاص لاعتبار الاسلام في نظر المسلمين انفسهم و غير المسلمين ايضاً.

* ماهو رايكم ازاء وجهة نظر البعض حينمايقولون بأن الاحزاب الاسلامية ترى وكانها فقط هي المسلمة دون غيرها، وهذا ما لايقبل بالطبع، ماهو جوابكم؟

اكرام كريم: الاحزاب الاسلامية لاترى بانها مسلمة فقط من دون الناس، لكنها ترى في نفسها خادمة للاسلام وتحاول كي يضطلع الدين بدوره لاصلاح المجتمع، ان يحدث اصلاحاً في الفكر والشعور والحياة العائلية والسياسية والاقتصادية، فهذا ليس بعمل طوعي، بل هو عمل واجب، والنقطة الثانية هي ليس كل شيء في الاسلام يتسم بالمطلقية او ان الاسلام لا يدع مجالاً للعقل بأن يتحرك، فأي فكر في الحياة ليس بمطلق وكل الاشياء ليست متغيرة، ويصح هذا بالنسبة الى العقل ايضاً، فقط حركة السفسطائيين هي التي تظهر من جديد، فاذا لم يكن هناك شيئاً ثابتاً كالاحكام العقلية، ان يكون ثابتاً ولا يخوض فيه، وبعد ذلك لايجوز، لأن هناك في الدين ايضاً اشياء ثابتة لا تقبل الجدل، لانها واضحة ويجب ان تكون كما هي، لأن الانسان مهما حاول وكافح و تقدمت طاقاته العقليه لايستطيع ان يقول اكثر من هذا، وهذه الاشياء هي قليلة العدد في الاسلام، فالايمان بالله والصلة به والموضوع الروحي وقضية العبادات كلها مسائل ثابتة لايجب المس بها، والاشياء التي تحتاج الى الحزب ومجموعة من الحركات والتبديل في الاسلام، هي اشياءتوجد في الحياة، حيث هناك اشياء قابلة للتغيير و التبديل في العقل و أفكار اخرى، وفي

الاسلام ايضاً هنالك عدد كبير من التغييرات يجب ان يقترب عقلك منها لتفسيرها، ويوجد في الاسلام مجالين للعقل كي يتحرك، وهو قانون جيد لاصلاح عقل الانسان.

اول المجالين يكمن في النصوص، حيث لكل خبير ان يفسره للاسلام (ولقد يسرنا القرآن للذكر)، اي اننا نزلنا القرآن بكل سهولة ويسر كي يفهمه الجميع، واي شخص ليس لديه المام ومعرفة بالاسلام لايجوز ان يتكلم مثلما قاله الاخ سرو ايضاً، وانا اتفق معه في هذا، ولكنه يجب ان يسأل ماهو الاسلام؟ هناك مجالين في الاسلام يتقدم من خلالها الفكر، المجال الاول هو النصوص الضمنية، وهذه النصوص هي مجموعة من الايات والاحاديث التي ليست من الوضوح بما فيه الكفاية، او تحمل معانيها معاني أخرى معها، لانه من اجل ترجيح وتقويم اي معنى يجب على الانسان ان يرجع الى اللغة او الشرع او كلام الناس، وهذا كي يتبين له لماذا سمي بهذا الاسم من قبل الناس، ولترجيح وتقويم هذه المجالات ايضاً، وهذا يسمى بمجال التغيير في الفكر الاسلامي والذي تطرقت اليه كل هذه المذاهب على مر التاريخ كالمذهب الشافعي و المذهب المالكي... الخ، حيث كتبوا مئات الكتب لتقييم هذه المعاني، وهذا ما تم التباحث حوله في مؤتمر (لاهاي) للقانون الدولي كي يقيم مصدراً للشرع والادارة، حيث قرر المؤتمر في جلستين او ثلاث بأن الاسلام هو مصدر غني للتشريع من بين المصادر الاخرى، لأنه اعطى مجالاً للفكر والتغيير، لأن الشيء الذي لم يذكره مذهب واحد ذكره المذهب الاخر، في الوقت الذي تشكل جميعها اراء متعددة اذا اردت ان تختار من بينها، لأن مسألة واحدة تحمل معاني كثيرة، وبمقدورك ان تختار اياً منها، وهذا ما خلق حرية فكرية كبيرة، كان هذا سائداً من قبل وهو كذلك الان ايضاً.

المجـال الثـاني: وضـع الاسـلام اطاراً كي يؤخـذ منه، وأن يكون هـناك ابداعاً ويقترح المشاريع، فهذه الاشياء التي وضعها الاسلام لا تحوي اية عقبات، لكنها تضع شرطاً بأن لاتكون القضية متعارضة مع الاسلام او ان تلحق ضـرراً بالناس، فـهـو اعطى المجـال للعـقل، وتكمن المسـألة السياسية كلها في هذا المجال وكذلك مسألة العالم والافكار والثقافة.

هناك اطار في الاسـلام يسـمى بالطريق الاصـولي في الاسـلام وهو (لاضرر ولا ضرار)، فالاسلام لايرضى بأن تفعل وتقول شيئاً يتضرر من وراءه الناس، او حتى ان تتضرر انت، وهذا دليل بأن الاسلام قد اعطى المجال للعقل بأن يكون حراً طليقاً.

سرو قادر: انا لدي ملاحظة حول كلامك بخصوص العلاقة بين الله والعبد، فهذا هو ارشاد لذا فدور الارشاد والتربية الاسلامية ضروري جداً، ومما لاشك فيه اننا في المجتمع الكوردي لا نستطيع ان نعيش في ظل قانون اذا لم يكن ذلك القانون متلائماً مع الدين الاسلامي.

اذا كان هناك قانونا او تعاليم جديدة تنسجم مع الاسلام، واذا كان ذلك اسداء خدمة لله وعباده، لماذا يجب ان يستغل السلطة حزب ما، انت لديك حزب سياسي تستغل قوة الدين لبرنامجك، وعدا ذلك يعد تطرفاً في تنفيذ أوامر تلك الظواهر التي تسمى بالقانون والتوجيهات والاعمال الخيرية وغيرها، فبعد اربعة عشر قرناً لماذا يجب عليك كحزب سياسي ان ترشد الناس كي يرجعوا الى الذي انت تراه اوامر اسلامية، لم لا توكل هذه المهمة الى جميع الناس وان يكون المجتمع برمته مسؤولاً عنها، فالذي يهمهم هذا الموضوع يبذلون كل ما بوسعهم كي يرشدوا الوطن عن طريق مؤسسات الدولة والقانون و يوجهوا المسلمين كي لاينحرفوا عن جادة

الاسلام، لم لايتخذ من هذا عملية شاملة للوطن؟ انت تسميها الاجتهاد، يجب ان يضاف اليها وزناً اكثر لأننا شعب لا يمكننا ان نعيش من دون تأثير الدين، لكن اذا قامت بهذا العمل طغمة دينية، من المحتمل ان تتحول الى مجموعة دينية لخدمة اهداف جماعة معينة، واعتقد بأنها في النهاية ستتحول الى حزب سياسي وتعمل على تفسير ذلك الجانب لنقل عمل الاجتهاد والتفكر الى داخل الحزب لك ان تقول بأنك جماعة تعمل في مجال فكر الاسلام الاجتهادي وتقول بأنك سوف تأخذ كل مافيه مصلحة المجتمع و مصلحة الاسلام، وان ترى في ماتفعله صحيحاً و تحاول ان يقتدى بك الناس، هذا من حقك، ولكن عندما تتحول الى حزب تضع الدين في اطار الحزب، حينذاك انت تغادر الدين و تخلف من رحابة الدين، ايديولوجيا يسمى بالدين، انت تملك ايديولوجيا في ذلك الوقت لكنك تترك الدين، فهذا الحزب هو كأن تقول بأنك سوف تقطع الماء عن بلد وتعطي الماء للاشخاص الذين هم منتمون اى حزبك فقط، لكن الدين الاسلامي ضروري للكوردي المسلم بقدر اهمية الماء والهواء، وعندما تأتي انت وتعمل في هذا الجانب فانك بعملك هذا سوف تسلب منهم مثابرة الحياة واندفاعتها، ومن ثم تفسر لهم و تفرض عليهم بأن يفعلوا ما تشاء انت، ولكن عندما تأتي الى ميدان العمل السياسي فهذا الحزب لايفرق شيئاً عن اي حزب آخر غير اسلامي. واستشهد بالمثال الذي ذكرته انت، كيف يتصرف حزب اسلامي عندما يقع في مشكلة مع حزب آخر غير اسلامي؟ قبل كل شيء انا لست ضد السلم والتسامح، واعتقد بأنه في القضايا السياسية هنا في وطننا، اذا لم يكن هناك تسامح، فلن يتوقف بحار الدماء ابداً، فالشخص الذي تقاتلت معه اذا كان قد قتل اناساً مسلمين، يجب عليك ان تدقق وتتمعن في الأمر، ولكن في حال عدم اختلافك عن اي

حزب سياسي آخر فأنني اشد على يديك وهنيئاً لك، انذاك يجب عليك ان تجنح للسلم وتتنازل عن دمك من اجل مصلحة الوطن، هل تعتقد حاربت ليس من اجل الاسلام وهل كانت الحرب تلك في مصلحتك، او انك تصالحت ولم يكن من اجل الاسلام، وسؤالي الموجه لسيادتك: هل كان موقفكم في ذلك كموقف نبي الاسلام؟ فهو من اجل نشر الدين الاسلامي وتأسيس سلطة اسلامية ومن اجل ذلك الاصلاح الذي عاش في ظله ملايين البشر على مر التأريخ، كان ولايزال مصدراً كبيراً للقوانين الانسانية، ليس فقط للاسلام، ولكن الان في المشاكل التي بين الحضارات وحوار الاديان والثقافات، نرى بأن الاسلام هو مشروع كبير ولديه المبادرة والقدرة على الحوار. حسناً هل ان لحزبكم ذات الهدف والواجب؟ فاذا تعامل الحزب الذي في مقابلك القريشيين حينما كان النبي في مكة يناورهم من اجل نشر الاسلام ولكنكم هنا تحسبون جميع الاحزاب الاخرى وكأنهم غير مسلمين، لأنكم في اي يوم اذا حدث خلاف بينكم وبين هذه الاحزاب، فأنكم سوف تعاملونها بهدف هدايتها للاسلام، وهنا ارجع الى كلامي وأقول بأنك تستغل الاسلام من اجل الايديولوجيا اي انك في داخلك تكفر جميع المجتمع عدا حزبك.

* من اعطى الحق والشرعية لهؤلاء الناس كي يؤسسو احزاباً وجماعات اسلامية؟

اكرام كريم: هنالك مسألة في الاصول تسمى بتحقيق المناص، ويتضمن تشخيص نقطة الخلاف واسباب عدم التلاقي، هناك شيء، وهو في الحقيقة ان هذه الحركات هي حركات سياسية وفقاً للمعيار الاسلامي، لدينا حركة قومية بمعيار قومي، وحرة ماركسية بمعيار ماركسي،

وحركات أخرى وفق معايير أخرى، فالتي معاييرها من العبادة والسياسة فهي عبارة عن هذه الافكار والايديولوجيات هذه مسألة، والمسألة الثانية لا احد يمانع بان يوجه النقد الى حزب اسلامي، لكن الحزب الاسلامي الذي يحمل معياراً اسلامياً، يعارض ويمانع بأن يوجه النقد الى الاسلام، لماذا عندما تكون هناك امتيازات فانك تضعها في مصلحة حزبك فقط؟ وهذا الشيء يخلق خلطاً، فأذا كان الانتقاد صادر من مسلم، يجب ان بكون الانسان حذراً، وكمثال: عندما يأتي شخص ويكتب عن الطالبان، او على تعامل الجزائر، او اناس آخرين، فعندما يقول بأن الطالبان يقطعون الايدي، هذا النقد ليس موجها الى الطالبان، صحيح ان الطالبان يفعلون ذلك، ولكن هذا القانون ليس من عند طالبان، لأن هذا قانون ديني، فالانتقاد موجه الى قرار وقانون ديني، ان النقد يوجه الى اساليب الحزب، ولكن اذا وجه النقد الى الاسلام ومن خلاله تم التعرض الى الاسلام حينذاك يجب ان يفرق بين الحالتين، والذين يكتبون اختلط لديهم الامر، والا فأن بأمكانهم ان يوجهوا النقد الى سلوك اي حزب وتأريخه ومواقفه و تعامله اليومي، فهذا المعيار كلها ممارسات حزبية، ولكن الشيء الاخر الذي هو معيار ومصدر أقواله وتفكيره ليس بالامكان توجيه النقد اليه، فالاختلاف بين حزب اسلامي وأخر غير اسلامي يكمن في الوظيفة، وظيفة الحزب الاسلامي هي ان يفتح في كل محلة مسجداً ويعلم الناس القرآن، كذلك ان يوجه المرأة كي تغطي رأسها، اذاً هذه الممارسة انعكست على الحياة، فليأتوا كي يروا الاختلاف بين حزب اسلامي وآخر غير اسلامي، فهذا الحزب الاسلامي يحمل ايضاً معه المطالب والأهمية القومية ايضاً والتي القت بظلالها على الادبيات ايضاً.

سرو قادر: اذاً ما الذي يفرقك عن الحزب القومي اذا كانت لديك الأهمية

القومية ايضاً؟

اكرام كريم: للحزب الاسلامي الأهمية القومية ايضاً كفكر و ادبيات وكتابة وتأثير وكممارسة ومثابرة، وفوق هذا لديه الأهمية الاسلامية ايضاً، وهذا من اجل دفع الناس الى الاصلاح او اصلاح اعضاءه حول الالتزام بالدين على اقل تقدير، مع هذا هنالك اناس آخرون مسلمون ايضاً ولديهم الالتزام، لكن الحزب الاسلامي يحاول ان يزيد من مستوى الالتزام، كي يستطيع من خلال الشرع ان يوصل رسالته، هذه نقطة، والتي تثيره انت حول مجمل ما يقوله الاخ سرو، اما النقطة الثانية بخصوص من الذي اعطى هذه الشرعية للحركات الاسلامية؟ اعتقد بأن الشرعية اذا عرفناها كأصطلاح ومن الذي يعطيها ويمنحها، هل هي شرعية قانونية ودستورية، ام هي شرعية تأريخية وثورية؟ فلنقف عند مسألة، هل ان الشرعية هذه قومية وطنية ام انها شرعية الهية؟ ان المسلمين لديهم هذه الشرعية وكذلك الاحزاب الاسلامية في كوردستان، الله هو الذي يجيز هذه الشرعية كواجب لتبليغ الدين (كما انزل الله) من اجل ايصاله الى الناس دون نقص و اخفاء شيء منه لايتلائم مع رغبات الناس، اما الشرعية القانونية فحالنا كالاحزاب الأخرى فنحن وبناءاً على شيء رسمي ووفقاً للقانون نعمل كأي حزب آخر.

اما الشرعية الثورية وكحزب اسلامي، فهي موجودة في كوردستان، وظهرت مع ظهور القضية القومية الكوردية، حيث كانت مع القضية منذ بدايتها والى الان، واذا امكن سوف نتحدث عن هذه المسألة في نقاط عدة: اولاً ان الاحزاب السياسية الاسلامية في كوردستان استطاعت ان تثبت بأنها خادمة لشعبها مثلما هي خادمة لدين شعبها ايضاً، ومايخص الجانب القومي نحن كتوحد اسلامي (يكبون) لدينا تأريخ مع المسألة

الكوردية، فمنذ السبعينات كنا مع هذه المسألة كممارسة. واثبتنا وجودنا من خلال الدفاع، وقديماً كان الاستاذ ملاعثمان والذي هو مؤسس الحزب قد كان مع المسألة الكوردية، ولم تؤثر مواقف هذا او ذلك على هذه المسألة، وثانياً نحن في عام ١٩٨٧ وفي بداية ومنتصف الثمانينات كانت لدينا مفارز اسلامية واجهت عدو هذا الشعب بأسم الاسلام، وفي عام ١٩٨٧ حيث بداية تأسيس الحركة الاسلامية توحدنا مع الرابطة والاتحاد، وهذا دليل دفاعنا عن المسألة الكوردية، كذلك في الانتفاضة كانت لنا مشاركتنا، وفي الانتخابات ايضاً شاركنا وبأسلوب حضاري ورضينا بنتائجها رغم ملاحظاتنا على النتائج تلك، وبعد ذلك شاركنا في ادارة الدولة والحكومة وقدمنا اعمالا لم نكن على دراية وخبرة فيها كما يجب، ونحن طيلة هذه الفترات عملنا على دفع المسألة ومسألتنا القومية الى الامام، حيث تمكنا من اداء هذا كشرعية، وكمسألة قانونية فنحن لدينا شرعيتنا كحزب سياسي اسلامي، وكشرعية الهية يجيز لنا الله ان نعمل بأسم الاسلام و ندعوا الناس الى الدين، وكشرعية ثورية كنا في ذلك التأريخ مع حركة قوميتنا واذا اراد شخص ان يشكك في شرعية الحركات الاسلامية، فهو اما لا يملك اية معلومات عن ذلك التاريخ، او انه يريد مسح هذا التاريخ او لديه غاية أخرى.

* اذا امكن فلنغير محور الحديث، كما هو معلوم بأن الجمعيات الاسلامية تعمل في مختلف المجالات، مثل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية...الخ، لماذا قيل الاسلام السياسي فقط واهملت الحقول الاخرى؟

سرو قادر: هذا سؤال في محله، اعتقد بأن هذا الموضوع هو صلب

حوارنا، ولا نريد هنا ان نستذكر قواعد واحكام الاسلام، فأي عالم يستذكر قانون الاسلام انا اصغي اليه و احاول ان اتعلم منه، لكن عندما يتم التطرق الى السياسة مثلما تحدث عنها الاستاذ، فهذه كلها سياسة، فعندما تأتي وتقول بأنك وكأي حزب قومي لديك اهتماماتك القومية، حسناً، فسر لي ماهي الاهتمامات القومية لديك؟ فهذا هو الجانب السياسي من الموضوع، فالأهمية القومية والاهتمام القومي انما يعني بأن حركتنا التحررية الكوردية والى الان تحاول اخراج هذا الشعب من نير الاستعباد وتوصله الى مرحلة يستطيع ان يدير نفسه كما يريد و وفقاً لتأريخ دينه وتقاليده هو، فالحركة التحررية الكوردستانية التأريخ، لرأيتم بأن قبل (١٢٠) عاماً بدأت اول حركة قومية أصلية على يد الشيخ عبيدالله النهري والذي كان اكبر عالم ديني وزاهد وشيخ في زمانه، وكانت حركته تحمل طابعاً تحررياً ويتم دراسة حركة من الجوانب العلمية و التأريخية، فالشيخ عبيدالله النهري قاد تلك الحركة ومن اجلها وافته المنية وهو في المنفى حيث دفن جثمانه المقدس في مكة المكرمة، ماالذي فعله الشيخ عبيدالله؟ أتوق كي ارى الاصالة القومية في الحركات السياسية الاسلامية في كوردستان، والدين الاسلامي لم يكن بعيداً ابداً من حركتنا التحررية، وجوهر الفكر التحرري الكوردي قد استمد من تأريخ و دين وتقاليد الكورد، وهل يحوي تأريخ وتقاليد وثقافة ودين الكورد شيئاً يختلف عماهو موجود في الدين الاسلامي؟ فالشيخ النهري اسس حركة اذا رجعت الى التأريخ ترى بأنها تحوي اهدافاً قومية ولم تبتعد عن الاسلام قيد انملة، وهو كعالم ديني وصاحب تكية صوفية عرفانية ادى مهمة الارشاد ايضاً، وقائد قومي آخر كان الشيخ عبدالسلام بارزاني، هو كذلك كان شيخاً وعالماً ورجل دين وصاحب تكية وزعيم شعب، حيث كان يفكر في ايجاد

سبيل لتحرير الشعب الكوردي المسام، فكان على استعداد ليتكلم مع العثمانيين الذين كانوا انذاك امبراطورية لدولة اسلامية، كان شيخ بارزان على استعداد لمحاورتهم شريطة ان يتحقق شيء للكورد، كان مستعدا للتعامل مع الانكليز ولكن ليس على حساب المس بالدين، كما كان يتعامل مع العثمانيين ولكن دون المساس بالحقوق القومية، حيث كان في كل الاحوال يضع استقلال كوردستان نصب عينيه.

ذهب الشيخ عدالسلام بارزاني الى ارومية (رضائية) والتقى بالقنصل الروسي هناك حيث كان للروس دوراً في المنطقة، هذه سياسة، هل ان الشيخ عبدالسلام بارزاني خرق الدين، والشيخ محمود الحفيد الذي نفتخر به ونطلق عليه ملك كوردستان، كافح طويلاً وحقق اشياء كثيرة، واليوم الكورد في كل مكان، سواء الذي في المسجد، وهو صوفي منشغل بالعبادة، مع الذي يمارس السياسة، والكوردي الذي مواضب على العلم في الجامعة، هؤلاء كلهم مبعث فخر لنا.

لكن هل ان الشيخ محمود الخالد خالف الدين الاسلامي؟ كلا، انا اريد ان اعلم، لماذا انتم لاتقولون: الاسلام الاجتماعي والاسلام الثقافي، ولماذا قيل فقط الاسلام السياسي؟

فالقيادات القومية الدينية للكورد تختلف مرحلة كل واحد منهم عن الاخر، القاضي محمد كان مرشداً دينياً في منطقة مكريان واسس اول حركة قومية وجمهورية كوردية نفتخر بها ايما اعتزاز، الملا مصطفى البارزاني والى ان لحق بربه كان نهجة ذو طابع ديني يستظل بظلاله رجال كبار من مثل مؤسسكم المرحوم الملا عثمان الذي كان يتبنى الاسلام تحت مظلة وقيادة وتوجيهات البارزاني وليس الحركة السياسية الاسلامية التي تتحدث عنها سيادتك، حبذا لو فتح هؤلاء الذين يهتمون بالأسلام

السياسي معاهد كبيرة وحركات اجتماعية كبيرة وأولوا الاهتمام بدراسة قوانين وطننا ليشخصوا فيها مواطن الخروج عن الاسلام، حينذاك كان يقال بأن هذا هو الدور الاجتماعي للأسلام ويريد ان لايبتعد القانون والسياسة و حياة المجتمع عن الدين الاسلامي، ولكنك اذا اتيت وحولته الى جماعة سياسية تهدف الوصول الى السلطة انذاك يغدو مسألة اخرى خارج الدين، لأن في حياة كل حزب سياسي هناك نهج ونظام، اي هناك التكتيك والستراتيج، وبهذا فهو مستعد ليتنازل عن حقه، وهذا الجزء من الايديولوجية السياسية ادى بنجم الدين اربكان بأن يتحالف مع اعداءه الذين يختلف معهم في الاهداف ويشكل ائتلافاً مع شيلر واسرائيل، والاتفاقيات التي ابرمتها تركيا كانت على يد اربكان، حيث اجتمعت مع العراق، وكان اربكان افضل جسر للتواصل بين تركيا والعراق، والذي كان يحاول جاهداً لرفع الحصار على العراق. الى ان مارس اعتى و اقسى صنوف الفكر الشوفيني على الكورد، حيث بدأ ترحيل وتهجير الكورد على يد اربكان وموورست اشد المظالم بحق الكورد في عهده، لا يلقى باللائمة على اربكان كحزب سياسي، لأن اي حزب اخر ربما فعل الأسوء، لكن هل ان اربكان وكحزب في دولة كبيرة اسلامية يمثل التفسير الاسلامي والامانة الاسلامية والشخصية الكبيرة المتدينة؟

انا اقول بأن ادلجة الاسلام بين الكورد لهي ظلم كبير بحق الكورد والأسلام معاً، فالفرد المسلم الكوردي حينما يرنو بمنظار الاسلام السياسي، انتم تبرزون له بأربكان، في حين ان الكورد يكرهون اربكان، لأنه خرق كل مباديء الانسانية للاسلام، بينما اليوم انت تمدحه، لاضير انا السياسي افهم ما تعنيه بذلك، لأن هناك علاقة دولية بين الحركات الاسلامية جميعاً، مثلما انت عليها الحركات الشيوعية، فعندما كان يقال

لماذا ينكر الحزب الشيوعي السوفيتي حدوث الأبادة في حلبجه، كان الشيوعيون في العراق يسوقون لموقفه ذلك الف بترير وتبرير، فالتبرير انما هو عمل سياسي، وجنابكم تحدثتم عن التاريخ، لماذا يطلق عليكم الحزب السياسي الاسلامي والاسلام السياسي، لأن نظرتكم سياسية وتخدم مصالح حزب معين من خلال انتقائكم لأحكام الاسلام وبما يخدم غاياتكم، حينما تقول بأن لديكم الشرعية الالهية.

كيف تقول ذلك، انتم لاتملكون الشرعية الألهية، فهذه الشرعية هي للدين الاسلامي في المجتمع الكوردي وليست لجماعة معينة، هنا اسأل جنابك، ليأتي الذين لديهم الاجتهاد ويذكروا لنا مثلاً لهذا الاجتهاد الالهي الذي يتحدثون عنه، لأن هذا القرآن والحديث الذي تلجا اليه انت، قد لجأ اليه الشيخ عبيدالله النهري والملا مصطفى البارزاني ايضاً، ومسعود البارزاني يلتزم به ايضاً في حياته، فاذا كان هناك حق، يجب ان يكون للمجتمع برمته، واذا تقول بأن وجودك راجع لدواعي حكم الهي، انا اود ان ينشر ذلك الحكم الذي تدعيه على الملأ، كي يطلعوا عليه، وبالنسبة الى الشرعية الثورية، ان الحركة السياسية الاسلامية في كوردستان لا تملك الشرعية الثورية، وهذا ليس بجريمة ولا بعد انتقاصاً. لأن وجود شخصيات دينية ايام ثورة ايلول لايعني وجوداً لحركة الاسلام السياسيي، فالأسلام السياسي في كوردستان ظهر بعد عام ١٩٨٧، ولا ريب في ذلك بأن قيادات الاحزاب الاسلامية وخاصة الحركة الاسلامية في كوردستان قد انضمت الى الثورة في السنوات الثلاث او الأربع التي سبقت الانتفاضة، وشخصياتهم لديهم انتماء ثوري، ولكن لديكم اناس لم يكونوا ثوريين ابداً بل جاؤا وظهروا بعد الانتفاضة، بمعنى اذا كان الاسلام عبارة عن ذلك التفسير الذي تطرحه الحركات الاسلامية كان

يجب ومنذ اليوم الأول للحركة التحررية الكوردستانية وخاصة في زمن الحكم الامبراطوري المسمى بالاسلامي في بلدنا، كان من المفروض على اسلاميي كوردستان ان يكونوا نواة للحركة التحررية الكوردستانية، وكان عليهم ان يضعوا تقاليد وافكار وأدوار جديرة بما يتفق مع الدين الاسلامي، الا ان الذي حدث كان على العكس تماماً، والان حين ملاقاتك لكادر سياسي اسلامي، تراه في غمضة عين يرجع بك الى اربكان وبن لادن و حسن البنا والسيد قطب وجماالدين الافغاني و ....الخ.

انا لا استطيع ان اقطع عليكم الطريق كي لا تنظروا الى ماضيكم، لكن فكركم هو فكر مستورد، اي انه ليس بفكر المسلم الكوردي، وحتى انه ليس بفكر الاسلام ايضاً، انت تهين الاسلام اذا قلت بأن الاسلام بقي كسولاً لمدة مايقرب من اربعة عشر قرناً، او الصفة التي اوردتموها سيادتكم حول الدين والله، اذا كان الاسلام ما ذكرتموه فهو موضوع آخر، اما اذا كان الاسلام هو ذلك الاسلام الحي الذي والى الان تلعب احكامه دوراً موثراً لدى الانسان المسلم، حينذاك من غير الممكن ان يتحمل الظلم كان يجب على الحركات الاسلامية ان تقف مع الحركة التحررية للشعب الكوردستاني ومنذ بدايات ظهور الحركة التحررية، ولكن بما ان المجتمع الكوردي مجتمع مسلم، عندما يعبر عن مصالحه، نراه لا يحتاج الى أن نيهمك نفسه بشيء لايوجد فيه نقص، اي انه لايشغل نفسه بالتأسلم والدخول الى الاسلام مجدداً، لانه لايشك في تأسلمه اساساً.

ان الاصلاح عمل ضروري، لكن اذا فكر شعب كالشعب الكوردي للتحرر وادارة نفسه بمنأى عن تعاليم وتراث دينه، اذا فكر بالأجتهاد من اجل المتطلبات الجديدة للحياة، فهو حينئذ لا يعارض الدين، وهنا انتم حينما تفكرون في الاسلام السياسي لا ترجعون ابداً الى الشيخ عبيدالله

النهـري، انا لا اتوجـه بهذا النقد نظراً لدواعي التـعـصب القـومي، لكن سؤالي من منطلق انني لا اعتبـر فكر الاسـلام السيـاسي في كوردسـتان فكراً اصـيـلاً، والاصـالة بمعنى ان الاسـلام السيـاسي لا يملك جـذوراً في التـاريخ الفكري والسـيـاسي لوطننا، الى الان لا ارى احـد من كـوادركم يتـحدث عن تاريخ الفكر الاسـلامي في وطنه، فعندمـا تأتي وتسـتمد فكرك من بن لادن والسيد قطب، وتترك الشيخ عبيدالله النهري جانباً والذي جاء قـبلهم ويعـد كـمـؤسس لفكر شـعـبك التـحـرري، فـهذه مـشكلتك ومشكلة الحركات الاسـلامية وليس مشكلة الاسلام، وهنا لاتبـقى لديكم اية شـرعية ثورية، ولـهذا السبب لم تسـتطيـعـوا ان تشـاركـوا في الحـركـة التـحـررية الكوردستانية، وانا أعزو هذه المشكلة مصدر فكركم كأسـلاميين سياسيين، لا اقصـد بهذا حـزباً مـعيناً، فـاصـحـاب الفكر للشـعـوب الحـاكمةالمسلمة صاغوا ايديولوجياتكم وفقاً لمصـالحهم الشـوفينية، السيد قطب لا يتـحدث عن تحـرر الشـعب، لذلك لا اريده انا، ولـم يبق هنـاك اي شك بـأن الشـعـب ايضـاً لايريده، فالشعب الكوردي شعب مسلم ويدير نفسه بنفسه.

اكرام كـريم: انا لا اريد ان اذكـر مـلاحظتي على كل مـا قـيل ولكن الذي تحدث عنه الأخ سرو، هو مـسـألة الاسـلام السيـاسي، انا ارى غيـر ذلك، فحينمـا يقال الاسلام السياسي، لأن للحركات الاسلامية اهدافاً سياسية، والاشـخاص الذين يلقون الضوء على الجانب السياسي في الاسـلام، انما يريدون ان يعاملوا الاسلام كدين يتضمن مجموعة من القواعد الروحية و وظيفـة المؤمنين به هو الارشـاد وأنه لا يمكن لهم التـدخل في شـؤون الدولة والحكم والسياسة، وهذا الرأي يرجع مصدره الى الفكر الذي دخل العالم الاسـلامي من اوروبـا، فنحن نتطرق الى الشـيخ عبيـدالله النهري والشـيخ عبدالسلام البارزاني ايضاً وتطرقنا اليهم وانعكس ذلك في ادبياتنا، نحن

قلنا بأن هؤلاء جميعاً كانوا رجال دين ودافعوا عن القضية القومية، لأن المسألة القومية في الاسلام ليست مسألة مرفوضة، اي ان الدين لم يأت لأجل رفض دين اخر او ليرفض القوميات، كنص وكقياس، كممارسة وتأريخ، يقول الله العظيم لا اكراه في الدين، فليس هناك اي نفي او ازاحة لرفض اي دين كان، هذا كمصدر تفكيرنا نحن، وعلى مر التأريخ الاسلامي ايضاً، من نبي الله (ص) والى نهاية ظاهرة الخلافة الاسلامية التي كانت موجودة، الى ذلك الحين لم يتم رفض اي دين في ظل السلطة الاسلامية، بل على العكس تم التعامل معه، وهناك شيء وهو ان الاسلام لايرفض الدين بل يفتح معه باب الحوار،" قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً".

الاسلام يحاوره ويبين له الحقيقة، فأذا قبل بالاسلام حينذاك سوف يتم تقديره ويعيش في الدنيا حراً و له الفوز في الاخرة، وهو بهذا ينال اجرين، اوله ينال ثواباً على دينه والثاني على الدين الذي آمن به، ويصبح هذا للقومية ايضاً حيث يقول النص "وجعلناكم شعوباً وقبائل". وهذا دليل بأن الله قرر بأن يعيش الانسان بما هو عليه من ملة وقومية، ورفض اية قومية انما يعارض ارادة الله.

فالاتحاد السوفيتي لم يستطع على مر سبعين عاماً ان يبيد الكورد، كذلك لم يستطع ان يصهر اية قومية آخرى اي دين ايضاً، وهذا كنص لم يسمح بأن يمحى اية قومية، ولم يحدث في تأريخ الاسلام بأن كانت هناك محاولة لازاحة وتطهير اية قومية، على العكس لم يظلم اية قومية حتى، وعندما بدأت الفتوحات في العراق، لم يدع الامام عمر بأن يبقى اي صحابي في العراق، بمعنى ان يؤسس له بيتاً ويملك قطعه ارض ويسكن فيها، لماذا؟ لأن الكورد انذاك كان شعباً مظلوماً جداً و بحاجة الى ان

يعطى له حرية اكثر، فهذا موضوع يخص مراعاة حالة رضوخ الاقوام، وبعض المصادر التأريخية تشير بأن الدولة العثمانية حاولت رفض المسألة القومية و الخصوصية القومية، وهذا بأعتقادي هو ملاحظة للدكتور مارف خزندار الذي يقول: الذين كتبوا الدولة العثمانية لا يمكن الاعتماد عليهم، ومنهم الدكتور كمال مظهر، وخاصة حول تعاملها مع الكورد، لأنه حينما ترجم ذلك المصدر الروسي فأنه ذكر الايجابيات، لأن روسيا كانت العدوة اللدودة للعثمانيين. وأمين زكي بك الذي هو صاحب كتاب الكورد وكوردستان كتب في مقدمة كتابه: لم يكن لدي اي احساس قومي الى ان ظهرت منظمة الاتحاد والترقي، فحينما نادوا بالقومية، انذاك تولدلدي هذا الشعور.

سرو قادر: هل تعتقد بأن الكورد في ذلك الوقت حقوقهم قد ضمنت، اذا كان ممكناً ان تحدثني عن تلك الحقوق.

اكرام كريم: دعني اكمل موضوعي، فهذا هو مبدأ الاسلام، الاسلام لم يأت لرفض الدين او لرفض القومية، وهذا شيء ثابت، العرب لم يفكروا في ذلك بأن صلاح الدين كان قائداً لسنوات كذلك لم يفكروا في قيادة الاتراك للأسلام. وقصدي في هذا، بأن الذين يقولون الاسلام السياسي، انما يريدون ان يتدخل الاسلام كدين وقواعد روحية وأسرية، وهذه مسألة جاءت من اوربا.

مسرد الأسماء والاعلام

جمال الدين الافغاني (١٨٣٩ – ١٨٩٧)

المثقف والسياسي الشهير في العالم الاسلامي يقال بأنه ولد في ايران والبعض يقول بأن ولادته كانت في افغانستان، هو احد اصحاب الفكر الناشطين في الشرق الذي دأب على الأصلاح الديني والاجتماعي ومن ثم توحيد العالم الاسلامي، عاش سنوات من عمره في مصر واسطنبول ولندن وباريس وموسكو، ان لديه مؤيدون في غالبية الدول الاسلامية، وفي النهاية مات مسموماً عندما كان في ضيافة السلطان عبدالحميد.

محمد عبدة (١٨٤٩ – ١٩٠٥)

المتنور والسياسي و رجل الدين الشهير لدى العرب، هو مصري وكان من المؤيدين القريبين لجمال الدين الافغاني، اعتقل لمرات و كان يلوذ بالفرار مراراً، اصدر مع جمال الدين الافغاني مجلة العروة الوثقى، في النهاية رجع الى مصر وعمل مفتياً هناك لفترة يعتبر من المتنورين العرب في مجال التجديد الديني البهائية.

البهائيون هم فرع من البابيين الذين كانوا فرعاً وظهروا من بين المذهب الشيعي (١٦٢٢)، يعد الشيخ بهاءالدين العلبكي مؤسساً لهذا المذهب، اعتقاد البهائيين يرتكز في هذه النقاط: الدين ينقسم لديهم

الى قسمين، الأول يتضمن المباديء، والثاني هو الاوامر، والمبادىء تنقسم الى ثلاثة اقسام هي الروحانية والادارية والاجتماعية. ووفقاً لهذا المعتقد الديني، يجب على تابعيه ان يجتنبوا التقاليد وان لايخفوا الحقيقة، عليهم ان يؤمنوا بالألوهية والفيض الألهي و ضرورة الدين وتسامح الاديان والسلام و والمساواة بين المرأة والرجل، يجمع البهائيين مجلس دولي، وبعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران اعتبروا كمرتدين، واذا لم يعودوا الى المذهب الشيعي لقضي عليهم انذاك، لذلك هاجر معظمهم ويعيشون الآن خارج ايران، ومنظمات حقوق الانسان تولي الاهتمام بمسألة حماية حقوقهم.

قرة العين (؟ – ١٨٤٥)

اسمها زرين تاج ابنة محمد صالح القزويني، كانت مؤيدة نشطة للشيخ بهاءالدين و بادرت مباشرة بالدعوة الى البهائية، وكانت معروفة بعملها ونبوغها وظهر خلاف بينها وبين زوجها الذي كان بهائياً ايضاً، حيث تركت زوجها و استمرت على دعوتها، وكانت تعتبر كمرشدة للبهائية. اشتهرت بجمالها ولهذا سميت بقرة العين، شاركت في المعركة التي دارت بين البهائيين وحكومة القاجار، اعدمت اخيراً في حديقة ئيلخان يطهران.

القرامطة (٨٣٨ م)

القرامطة كانوا فرعاً من حركة الاسماعيليين، من حيث المطالب يعدون من الحركات المعارضة الاشد رادكالية في عهد حكم العباسيين، كانوا يتمتعون بنفوذ واسع في العراق واليمن والبحرين، يعتبر الصوفي والمتنور وداعية العدالة الشهير (اعلاج) احد اشهر قياداتهم.

فراماسون

هي حركة فكرية سياسية واسعة ظهرت وتنامت في القرن الثالث عشر الميلادي في اوربا وبالاخص في بريتانيا و وصلت الى جميع الدول الاوربية وامريكا، ومع مجيء الاستعمار الى الشرق، وصلت النشاطات الفراماسونية الى هذه المنطقة ايضاً، وعن طريق هذه الحركة انتشر الفكر الجديد بكل فروعه في الشرق.

الاسماعيليون

هم فرع من مذهب الشيعة، ولكنهم يعتقدون بأن الامامة تنهتي عند الامام السابع. حيث ظهر هذا الخلاف بعد وفاة الامام جعفر اصادق، جدير بالذكر ان المذهب الجعفري السائد الان الذي يعرف بالشيعة هم من الاثنى عشر، وانشقت عن الاسماعيليين افرع عديدة و أضحوا مصدراً لكثير من الحركات المتطرفة في تأريخ الاسلام.

الصفويون (١٥٠٢ – ١٧٣٦)

كانوا سلالة صوفية شهيرة في ايران، وتسميتهم ترجع الى الشيخ صفي الدين الاردبيلي، فهؤلاء كانوا اتراكاً كقومية، لكنهم كانوا على المذهب الشيعي، واحد من احفاد الشيخ صفي الدين بأسم الشاه اسماعيل الصفوي تسلم مقاليد الحكم في ايران وتمكن من فرض المذهب الشيعي على مناطق واسعة من ايران.

آية الله نائيني (؟ – ١٩٣٥)

هو ميرزا حسين نائيني، يعتبر عالماً و مرجعاً دينياً في المذهب الشيعي، كان يسكن في النجف و له اتباع كثيرون في ايران، وضع

كتاباً حول مناصرة الديمقراطيين، الداعين للمشروطة بعنوان (تنبيه الامة وتنزية الملة في لزم مشروطية الدولة المنتخبة لتقليل الظلم على افراد الامة)

الشيخ فضل الله نوري (؟ – ١٩٠٧)

هو ايى الله شهير و كان لديه اتباع في المذهب الشيعي في زمن ثورة المشروطة و وقف ضد الديمقراطيين، حيث كان ينادي بضرورة ان تحل حكمومة الشريعة محل المشروطة، كذلك كان يعتبر الموالين للديمقراطية بأنه كفار، وكان مناهضاً لأفكار آية الله نائيني، وبعد انتصار دعاة المشروطة القي القبض على الشيخ فضل الله نوري واعدم في مدينة طهران، والشيخ فضل الله هو جد نورالدين كيا نوري رئيس الحزب الشيوعي الايراني (تودة).

عين القضاة الهمداني (١٠٧٥ – ١١٠٨)

اسمه عبدالله ابن ابي بكر المعروف بعين القضاء الهمداني، هو من احد طلاب احمد الغزالي وكان واقعاً تحت تأثير الافكار العرفانية و التصوفية لأستاذة، له كتابات عن التصوف لكن مؤلفاته تلك لم يتم استيعابها انذاك وطريقته العرفانية كانت اكبر بكثير من ذلك الزمن، حيث تم تكفيره من قبل اساتذة الشريعة وأخذوه الى بغداد، وهناك امر الخليفة العباسي بقتله وارجعوه الى خمدان وتم اعدامه عند باب تكيته وعلى مرأى من طلابه، وبعد ذلك سلخوا جلده وملؤه بالتبن وعلقوه على باب التكية ومن ثم أحرقوه.

الفهرست

الجزء الأول: الدين.... كيف نفهمه؟ 5
الدين، بمنظور انساني 15
الايديولوجيا على انقاض الامبراطورية 41
الأصلاح في استقبال الدين 44
الجزء الثاني: العلاقة بين الدين و السياسة 51
ظهورالعلمانية في مواجهة الفكر الديني 61
دورالايديولوجيات الشيوعية والرأسمالية... 74
الأرهاب والاسلامي المتطرق 86
كيف ظهر الفكر السياسي الأسلامي في كوردستان؟ 104
الجزء الثالث: الاسلام السياسي، الدين، القومية 128
مسرد الأسماء والاعلام 156